

## الباب الأول

### سعادة العبد في التمسك بتقوى الله

إخواني : إن الذين نعتهم بالفضل والتقوى أصبحوا بين أطباق<sup>(١٠)</sup> الثرى ، وقليل من أخلاقهم في الأرض أخفياء لا يعرفون ، وإنى مورد إليكم بعض ما أفادنى الله تعالى من العلم إنى وجدت النصحاء رحمة الله عليهم ورضوانه متفقين على أن سعادة العبد في الدنيا والآخرة في التمسك بتقوى الله ألا وإن دلالة التقوى هي : الورع عن محارم الله والقيام بحدوده وتصفية القلوب من مكارهه ووجدتهم متفقين على أن إفساد الدين في الجراءة على الله تعالى ألا وإن دلالة الجراءة على الله عز وجل : ترك الورع والتعدى لحدود الله تعالى والإصرار على معصيته . عصمنا الله وإياكم من ذلك .

## الباب الثانى

### ما لا يدرك كله لا يترك جله

إخواني : إنى تدبرت أحوالنا فى دهرنا فأطلت فيه التفكر فرأيت زماناً مُستصعباً قد تبدلت فيه شرائع الإيمان وانتقضت فيه غرى الإسلام وتغيرت فيه معالم الدين واندرست الحدود وذهب الحق وباد أهله وعلا الباطل وكثر أتباعه ورأيت فتناً متراكمة يحار فيها اللبيب ورأيت هوى غالباً وعدوا مُستكلباً ، وأنفساً بحب العاجلة مشحونة بالشهوات معلقة ، ولأهوائها متبعة وللدنيا على الآخرة مؤثرة وبحب التعظيم والعلو والهة وعن التفكير محجوبة قد جللها الرياء فعميت عن الآخرة ، فالضماير والأحوال فى دهرنا بخلاف أحوال السلف ، وضمايرهم ولقد بلغنا أن بعض الصحابة قال : « لو أن رجلاً من السلف الصالح أنشُر<sup>(١١)</sup> من قبره ثم نظر إلى قرائكم ما كلمهم ولقال لسائر الناس : ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب » فإلى الله أشكو الذى حل بنا من التبديل والتغيير ومخالفة الأخبار ، وبلغنا ذلك عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يأتي

(١٠) طوتهم الأرض ودفنوا فيها .

(١١) بعث ونشر .

على الناس زمان التمسك يومئذ بدينه كلقابض على الجمر،<sup>(١٢)</sup> وقوله الحق ﷻ  
 « التمسك بستی عند فساد الناس له أجر مائة شهيد،<sup>(١٣)</sup> . فلما رأيت  
 البلاء محققاً بحدود الدين والفتن بنا محيطة والموى فينا مطاعاً متبعاً خشيت الانسلاخ  
 من الأمر كله فإنه بلغنا والله أعلم : « أن الرجل لیسلب إيمانه وما يشعر ، وأن الرجل  
 ليخرج من بيته ومعه دينه ويرجع وما معه من دينه شيء،<sup>(١٤)</sup> . فأشفتت من ذلك  
 ونظرت على الضرورة إلى أمر هو بين أمرين : إذا لم تكن ممن يقوم بكل ما أمر الله  
 به ، فلا ينبغي لنا أن نضيع كل ما أمر الله به فهلك الأبد ألا فراقبوا الله عز  
 وجل .

إخواني لا تخرجوا أنفسكم ، من الخير كله ولا تستهينوا بأمر الله كله ولا تهازوا  
 الله بالخلاف في أحوالكم ، وتمسكوا بقليل من كثير يجب عليكم وإن كان لا عذر لأحد  
 في تضييع شيء من أمر الله ، ولكن سداد من عَوَز<sup>(١٥)</sup> وبعض الشر أهون من بعض ،  
 والقليل يُتمسك به خير من ذهاب الجميع ! فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال  
 لأصحابه : « سيأتي بعدكم قوم ، إن تمسكوا بعُشْر ما أنتم عليه نجوا،<sup>(١٦)</sup> . ألا  
 فتدبروا ما أقول لكم فقد اقتصرت على ما لا عذر دون القيام به ، وأخشى الهلاك في  
 تضييعه أو يعفو الكريم بفضله .

## الباب الثالث أصل البلى حب الدنيا

إخواني إنى وجدت الأصل الذى هو ضد الآخرة وأبلغ مكايد الشيطان فى فساد  
 الأمة ، وتضييع حدود الدين وجدته حب الدنيا والتعظيم والعلو فى الدنيا وهو أصل  
 البلى ورأس الخطايا ، ولذلك فرط العباد فى كثير من حقوق الله تعالى ، وضيعوا

(١٢) أخرجه أحمد فى المسند (٣٩١/٢) والترمذى فى صحيحه (١١٧/٩) وأورده السيوطى فى الجامع الصغير  
 وصححه الألبانى . حديث رقم (٧٨٧٩) .

(١٣) أخرجه البزار والطبرانى بلفظ خمسين شهيد انظر مجمع الزوائد للهيتمى (٢٨٢/٧) وأورده السيوطى فى  
 الجامع الصغير بلفظ « التمسك بستی عند فساد أمتى له أجر شهيد ، وضعفه الألبانى حديث رقم (٥٩٢٥) .

(١٤) أخرجه ابن أبى عاصم فى كتاب الزهد بلفظ « يصبح الرجل مؤمناً ، ويمسى كافراً ، ثم يمسى مؤمناً ،  
 ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا ، حديث رقم (٢١٨) .

(١٥) العَوَز : الفقر والقلة .

(١٦) أخرجه الترمذى فى صحيحه عن أبى هريرة وقال : حديث غريب انظر صحيح الترمذى (١٢٢/٩) .

من حدود الله الصلاة والصيام وسائر الفرائض ، وبحب المال والتعظيم تقلبوا في فنون الحرام والآثام واستهانوا بكثير من أمر الله ونهيه ، ولذلك بارزوا الله بالعظائم وأصروا على الكبائر ، وأتوا على أنفسهم وما يشعرون ، وقد حذرهم رسول الله ﷺ فتنه الدنيا . بلغنا عنه عليه السلام أنه قال : « لتأتينكم من بعدى دنيا تأكل إيمانكم ، كما تأكل النار الحطب »<sup>(١٧)</sup> وقال عليه الصلاة والسلام : « ما شيء أبغض إلى الله ، بعد الشرك بالله ، من حب الدنيا »<sup>(١٨)</sup> وقال عليه الصلاة والسلام : « مازال ربي معرضاً عن الدنيا ، وعمن غرته ، واطمأن إليها منذ خلقها إلى يوم القيامة »<sup>(١٩)</sup> . وقال ﷺ « هلك المكثرون إلا من قال به في عباد الله هكذا ، وهكذا ، عن يمينه وعن يساره ، وقليل ما هم »<sup>(٢٠)</sup> . وبلغنا أن الله تعالى : أوحى إلى موسى عليه السلام : « أن يا موسى : لا تركزن إلى حب الدنيا ، فلن تأتيني بكبيرة ، هي أشد عليك ، من حب الدنيا »<sup>(٢١)</sup> . وبلغنا أن عيسى عليه السلام قال : « يا معشر الخواريين الغنى مسرة في الدنيا مضرّة في الآخرة ، إن الأغنياء يتملقهم الناس في الدنيا ، ويطئونهم بأرجلهم في الآخرة من أقبل وأدبر بحق . أقول لكم : لا يدخل الأغنياء ملكوت السموات »<sup>(٢٢)</sup> . وبلغنا أن بعض السلف قال : « لأن أحرّ من فوق فصر فأتحطم أحب إلى من مجالسة غني » . وقال : « إن الغني في الدنيا الرفعة وفي الآخرة الذل ، الغني يميل شدقه ويسيل لعابه » . وبلغنا أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : « أيُّ أمتك شرُّ ؟ قال : الأغنياء »<sup>(٢٣)</sup> . ويح المحب للدنيا ! أما انتهى إليه أن موسى عليه السلام مر برجل وهو يبكي ، ورجع وهو يبكي ، فقال موسى عليه السلام : يارب عبدك يبكي من مخافتك فقال : يابن عمران لو ترك دماغه مع دموعه ورفع يديه حتى تسقطا لم أغفر له ، وهو يحب الدنيا . أما يسمع الله عز وجل وهو يقول : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْحَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ

(١٧) أورده الغزالي في الإحياء ، وقال الحافظ العراقي : لم أجد له أصلاً ، انظر الإحياء (١٧١٨/٣) .  
(١٨) أورده الغزالي في الإحياء بلفظ « إن الله عز وجل لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا » انظر الإحياء (١٧١٢/٣) .

(١٩) أورده الغزالي في الإحياء عن موسى بن يسار (١٧١٢ / ٣) .  
(٢٠) أخرجه أحمد في المسند عن أبي هريرة انظر المسند (٣٠٩/٢ ، ٥٢٥) وأورده الغزالي في الإحياء (١٧٦٢/٤) والحديث يشير إلى هلاك المكثرون من المال .

(٢١) أورده الغزالي في الإحياء (١٧١٨/٣) .  
(٢٢) وكيف وهم قد عاشوا عالم المادة فلا عجب أن يفوتهم عالم الملكوت .  
(٢٣) أورده الغزالي في الإحياء ، وقال الحافظ العراقي : حديث غريب لم أجده ، انظر الإحياء (١٧٦٢/٤) .

لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ .

فهذا حال المحبين للعالمين لهذا العالم ، وإياكم من حيثها . إخواني اعلموا أن صلاح الأمة وفسادها بصلاح العلماء وفسادهم وأن من العلماء رحمة على الناس يسعد من اقتدى بهم ، وأن من العلماء فتنة على الأمة يهلك من تأسى بهم ، فالعالم إذا كان عاملاً برضوان الله مؤثراً للآخرة على الدنيا فأولئك خلفاء الرسل عليهم السلام ، والنصحاء للعباد والدعاة إلى الله تعالى ، وأولئك رفقاء الأنبياء على منابر النور في الحلي والحلل يكرمون ويُجَبَّرُونَ وفي الأقارب والأباعد يشفعون إذ الخلائق يبعثهم مشغولون أولئك رحمة الله على الأمة وبركة عليهم يدعون إلى سبيل النجاة فيسعد من أجابهم وفاز من اقتدى بهم ولهم مثل أجر المتأسين بهم ، وقد جاءت الآثار بنعتهم . بلغنا أن بعض أهل العلم تلا هذه الآية : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢٥) . قال : هذا حبيب الله هذا ولي الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب أهل الأرض إلى الله ، أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته ، وعمل صالحاً في إجابته وقال إنني من المسلمين (٢٦) . إن هذا خليفة الله يا قوم فيمثل هذا العالم اقتدوا وبه تأسوا تسعدوا وتفوزوا . إلا إن صنفاً من العلماء رَضُوا بالدنيا عوضاً من الآخرة فأثروها على جوار الله تعالى ورغبوا في الاستكثار منها وأحبوا العلو فيها فتأسى بهم عالم من الناس وافتتن بهم خلق كثير أولئك أسوأ فتنة على الأمة تركوا النصيح للناس كي لا يفتضحوا عندهم ويجهم كيف ينالون الخير بوعيد الله إياهم !؟ وَشَرُّوا بالعلم ثمناً قليلاً لقد خسروا وبمس ما تجروا واحتملوا أوزارهم مع أوزار المتأسين بهم فهلكوا وأهلكوا أولئك خلفاء الشيطان ودعاة إبليس أقل الله في البرية مثلهم وقد حذرهم رسول الله ﷺ فتنة العالم المؤثر للدنيا . بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « الفُقهَاءُ أَمْنَاءُ الرِّسْلِ مَالِمٌ يَدْخُلُوا فِي الدُّنْيَا فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَاتَمَّوْهُمُ عَلَى دِينِهِمْ » (٢٧) . وقال عليه السلام : « لا تَرْتَلِ هَذِهِ الْأُمَّةَ تَحْتَ يَدِ اللَّهِ ، وَفِي كَفِّهِ مَالٌ يُجَلُّ قُرَاؤُهُمْ أَمْرَاءُهُمْ وَمَالٌ يُزَكِّي خِيَارُهَا شَرَارُهَا وَمَالٌ يُمَيِّزُ صِلْحَاؤُهَا فَجَارُهَا ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ رَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَدَهُ وَسَلَطَ عَلَيْهِمُ الْجَبَابِرَةَ فَيَسُومُونَهُمْ سُوءًا

(٢٥) فصلت : ٣٣ .

(٢٤) هود : ١٥ ، ١٦ .

(٢٦) أخرجه عبد بن حيد عن قتادة بلفظ « هو عبد صدق قوله ، انظر الدر المنثور للسيوطي (٣٦٤/٦) .  
 (٢٧) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس ، من حديث علي وابن عمر وإسنادها ضعيف ، انظر الفردوس للديلمي رقم (٧٥٩٥) . وأورده الغزالي في الإحياء (١١٥/١ ، ١١٦) والشوكاني في الفوائد المجموعة ص

٢٨٩ .

العذاب» (٢٨) . وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تقوم الساعة حتى تكون أمعاء خونة ، وقراء فسقة ليست لهم مرعة وتمشاهم فتية ، وظلمة يتهوكون كما يتهوكون اليهود في الظلمة » (٢٩) . وبلغنا أنه قيل : يارسول الله أى الناس أشر ؟ فقال : « اللهم غفرا شرار أمتي شرار العلماء » (٣٠) . وبلغنا أن بعض الصحابة قال : « يأتي على الناس زمان مساجدهم عامرة خربة من الهدى ، وذلك أن علماءهم شرُّ من تُظَلَّه السماء » . وبلغنا أن الله عز وجل أوحى إلى داود عليه السلام : « لا تستشِرْني أمرك عالماً أسكره حبّ الدنيا ، فيسقطك بسكره عن طريق محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي المريرين » (٣١) . وبلغنا أن بعض أهل العلم قال : « من ازداد بالله علماً ، فازداد للدنيا حبا ، ازداد من الله بعدا » (٣٢) . وبلغنا أنه ذكر بعض أهل العلم مجالسة العلماء فقال : « إن شئت لفي مجالسة بعضهم لفتنه ، إذا كان العالم مفتوناً بالدنيا . راغباً فيها حريصاً عليها فإن في مجالسته لفتنة تزيد الجاهل جهلاً وبتفن العالم يزيد الفاجر فجوراً ويفسد قلب المؤمن » . وقال : « إن علماء السوء جلسوا على طريق الآخرة فقطعوا العباد عن الله تعالى ثم بكى » . وبلغنا عن عيسى عليه السلام أنه قال : « علماء السوء يصومون ويصلون ولا يفعلون ما يؤمرون ويدرسون ولا يعملون فساء ما يحكمون يتوبون بالقول والأمانى ويعملون باهوى وما يغنى عنكم أن تثقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالمُنخَل (٣٣) تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم . يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ؟ ولا تنقطع منها رغبته ؟ بحق أقول لكم : إن قلوبكم تبكى من أعمالكم ، جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعلم تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم وصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأى

(٢٨) أخرجه الدليمي في الفردوس عن أبي هريرة حديث رقم (٨٧١٩) .

(٢٩) أورده السيوطي بلفظه عن أنس وضعفه الألباني برقم (٦٤٥٧) والشوكاني في الفوائد المجموعة ص (٢٨٩) . والتهوُّك : التردى والوقوع في الشيء . والتهوُّك كالتهور .

(٣٠) أخرجه البزار عن معاذ بن جبل ، وقال الميمني : فيه الخليل بن مرة قال : البخاري منكر الحديث ورد ابن عدى قول البخاري وقال أبو زرعة : شيخ صالح . انظر مجمع الزوائد (١/١٨٥) ، وأورده السيوطي في الجامع الصغير وضعفه الألباني برقم (٣٣٨٠) .

(٣١) أورده الغزالي في الإحياء (١/١٠١) .

(٣٢) أورده الغزالي في الإحياء (١/٩٩) .

(٣٣) في نسخة أخرى يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى النخالة كذلك أنعم .

الناس أخسر منكم لو تعلمون !!؟ ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدجلين<sup>(٣٤)</sup> وتقيمون في محلة<sup>(٣٥)</sup> التصيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليركبوها لكم ، مهلاً مهلاً ويلكم ماذا يغنى عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه موحش مظلم كذلك لا يغنى عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه موحشة مظلمة معطلة . يا عبيد الدنيا ؛ فلا كعلماء يعملون ولا كهيد أتقياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تقلعكم من أصولكم فطليكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم ثم يسلمكم إلى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سواتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم<sup>(٣٦)</sup> . إخوانى فهؤلاء علماء السوء وشياطين الإنس وفتنة على الناس رغبا في عَرْض الدنيا ورفعها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا ، فهم في العاجل عارّ وشين وفي الآخرة هم الخاسرون أو يعفو الكريم بفضله . وبعد فإني رأيت الهالك الخاسر المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص تنفجر منه أنواع الهموم وفتون المعاصي وإلى التلف والبورار مصيره ، فعاد فرح الهالك نَزْحاً لم تبق له الدنيا ولم يسلم له دينه بل خسر الدنيا والآخرة بحبه للعاجل ولم يعلم الهالك ما قدر له . ألا ذلك هو الخسران المبين ! فيالها من مصيبة ما أقطعها ورزية ما أجلها ، ألا فراقبوا الله . إخوانى ولا يغرنكم الشيطان وأولياؤه من الإنس بالحجج الداحضة عند الله عز وجل فإنهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لأنفسهم المعاذير والحجج ويزعمون أن أصحاب رسول الله ﷺ كانت لهم الأموال فيتزين المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع الأموال ولقد دهامهم الشيطان وما يشعرون ! ويحك أيها المفتون ! إن احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف ، مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك ؛ لتهلك لأنك متى زعمت أن أختيار الصحابة أرادوا المال للتكاثر ، والشرف ، والزينة ، لقد اغتبت السادة ، ونسبتهم إلى أمر عظيم . ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد ازدريت بمحمد ﷺ ، والمرسلين ، ونسبتهم إلى قلة الرغبة ، والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجهل إذ لم يجمعوا المال كما تجمع المال ومتى زعمت أن جمع المال الحلال

(٣٤) المدجج : الداخل في الظلام والساتر ليلاً والمراد بهم الذين فروا إلى الله ليخرجهم من الظلمات إلى النور .

(٣٥) والحلة مكان الحلول والنزول والإقامة .

(٣٦) أورده الغزالي في الإحياء (٤/ ١٨١٦ ، ١٨١٧) .

أفضل من تركه فقد زعمت أن رسول الله ﷺ لم ينصح الأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خيراً للأمة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله ﷺ : لقد كان للأمة ناصحاً وعليهم مشفقاً وبهم رعوفاً . نعم ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه ، فقد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد زعمت أن الله عز وجل لم يعلم أن الفضل والخير في جمع المال فلذلك نهاهم عنه ورغبت في الاستكثار منه ، كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك . تعالى الله عن جهلك ! . أيها المفتون : تدبر ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ، ويحك وما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - فقد ودّ عبد الرحمن بن عوف في القيامة أنه لم يؤت من الدنيا أكثر من قوت يومه . وبلغنا عن رسول الله ﷺ قال : « ما من أحد من الناس يوم القيامة غني ولا فقير ، إلا ود أنه لم يؤت من الدنيا إلا قوتاً » (٣٧) . ولقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ : إنا نخاف على عبد الرحمن بن عوف فيما ترك ، فقال كعب (٣٨) : سبحان الله ، وما تخافون على عبد الرحمن بن عوف ، كسب طيباً ، وأنفق طيباً ، فبلغ ذلك أبا ذر (٣٩) فخرج مغضباً ، يريد كعباً ، فمر بعظم لحي بعير ، فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعباً فقبل لكعب : إن أبا ذر يطلبك فخرج هارباً حتى دخل على عثمان بن عفان - رضى الله عنه - يستغيث به وأخبره الخبر فأقبل أبو ذر يقص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان بن عفان - رضى الله عنه - فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان ، هارباً من أبي ذر ، فقال له : أبو ذر : هيه (٤٠)

يابن اليهودية ، تزعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ! لقد خرج رسول الله ﷺ يوماً يمشى في المدينة نحو أحد وأنا معه فقال : ياأبا ذر ، قلت : لبيك يا رسول الله فقال : « الأكثرون أموالاً هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا »

(٣٧) أخرجه ابن ماجه عن أنس بن مالك في سننه حديث رقم (٤١٤٠) وأورده المنذرى في الترغيب والترهيب

(٤/١٧٠) والشوكاني في الفوائد المجموعة : كتاب الزهد حديث رقم (٥٧) والغزالي في الإحياء (٥/٢٤١٥) .

(٣٨) كعب الأحبار ، وإليه تنسب أكثر الإسرائيليات .

(٣٩) أبو ذر الغفاري أحد الصحابة الأجلء ، وكان له موقف من المال والأغنياء .

(٤٠) هيه : بمعنى إيه فأبدل من الهمزة هاء . وإيه اسم فعل ومعناه الأمر تقول للرجل إيه بغير تنوين إذا

استزدته من الحديث المعهود بينكما ، فإذا نوتته استزدته من أى حديث .

عن يمينه وعن شماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم»<sup>(٤١)</sup>. ثم قال : « يا أبا ذر » قلت : نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، قال : « ما يسرني أن لي مثل أحدٍ ذهباً أنفقهُ في سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين » ثم قال : « يا أبا ذر أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل فرسول الله ﷺ يريد هذا وأنت تقول يا بن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال مثل هذا فلم يرد عليه خوفاً حتى خرج »<sup>(٤٢)</sup>. وبلغنا : أن عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - قدمت عليه غير من اليمن ، فضجت المدينة ضجة واحدة ، فقالت عائشة رضى الله عنها : ما هذا ؟ فقيل : غير قدمت المدينة لعبد الرحمن بن عوف ، فقالت : صدق الله ورسوله ، فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فسألها فقالت سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إني رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين ، والمسلمين يدخلونها سعيًا ولم أر أحدًا من الأغنياء يدخلها معهم إلا جوا » فقال عبد الرحمن بن عوف : « أشهد الله تعالى أن العير وما عليها في سبيل الله وأن أرقاءها أحرار لعلي أدخلها معهم سعيًا »<sup>(٤٣)</sup>. وبلغنا أن رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن بن عوف : « أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي ، وما كذبت أن تدخلها إلا جوا »<sup>(٤٤)</sup>. ويحك أيها المفتون فما احتجاجك بالمال ، وهذا عبد الرحمن بن عوف في فضله ، وتقواه ، وصنائه المعروف وبذله المال في سبيل الله ، مع صحبته لرسول الله ﷺ ، وبشراه له بالجنة<sup>(٤٥)</sup> ؛ يقف في عَرَصات<sup>(٤٦)</sup> القيامة وأموالها ، بسبب مال كسبه من حلالٍ للتعفف ، ولصنائع

- (٤١) أخرجه الترمذى في صحيحه عن أبى ذر وقال : حديث أبى ذر حديث حسن صحيح (٣/٩٥ ، ٩٦) ، والسنائى في سننه كتاب الزكاة حديث رقم (٢) (٥/١٠ ، ١١) وأحمد في المسند عن أبى هريرة . انظر المسند (٢/٣٠٩) ، وأورده الغزالي في الإحياء وقال الحافظ العراقي : الحديث أخرجه الطبراني من حديث عبد الرحمن بن أبزى ، انظر الإحياء (٤/١٧٦٢) .
- (٤٢) أورده الغزالي في الإحياء بطوله (٤/١٨١٨) .
- (٤٣) أخرجه البزار والطبراني ، انظر كتاب الترغيب والترهيب للمندرى (٤/١٤٠) ، ومسلم في صحيحه نحوه : كتاب الزهد ، حديث رقم (٣٧) ، وأورده الغزالي في الإحياء (٤/١٨١٩) .
- (٤٤) أخرجه أحمد في المسند عن عائشة (٦/١١٥) ، والمندرى في الترغيب والترهيب وعزاه إلى البزار والطبراني ، انظر الترغيب والترهيب (٤/١٤٠ ، ١٤١) ، وأورده الغزالي في الإحياء ، وقال الحافظ العراقي : حديث ضعيف انظر الإحياء (٥/٢٤٠٩) .
- (٤٥) حديث بشر النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف بالجنة أخرجه الترمذى في صحيحه في مناقب عبد الرحمن ابن عوف (١٣/١٨٢ ، ١٨٣) .
- (٤٦) العَرَصات جمع عَرصة . كل موضع واسع لا بناء فيه .

المعروف ، وأنفق منه قصداً<sup>(٤٧)</sup> ، وأعطى فى سبيل الله سمحاً ، منع من السعى إلى الجنة مع فقراء المهاجرين وصار يحبو فى آثارهم حبوا ، فما ظنك بأمثالنا الفرقى فى فتن الدنيا ؟!

وبعد : فالعجب كل العجب لكل مفتون تمرغ فى تخاليط الشبهات والسُّخْت وتكالب على أوساخ الناس وتغمض فى المكاسب من حيث ما ظفر بها تناولها نعم وتتقلب فى الشبهات والزينة والمباهاة وتتقلب فى فتن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن بن عوف وترعم أنك إن جمعت المال فقد جمعه الصحابة كأنك أشبهت السلف وفعلهم ! . ويحك إن هذا من قياس إبليس ومن فُتياه لأوليائى وسأصف لك أحوالك وأحوال السلف فتعرف فضائحك وفضل الصحابة بأموال أرادوها للتعفف والبذل فى سبيل الله فكسبوا حلالاً وأكلوا طيباً ، وأنفقوا قصداً ، وقدموا فضلاً ولم يمنعوا منها حقاً ولم ييخلوا بها لكنهم جادوا لله بأكثرها ، وجاد بعضهم بجمعها وفى الشدة آثروا على أنفسهم كثيراً فبالله أكذلك أنت ؟! والله إنك لبعيد الشبه بالقوم ! وبعد فإن أختيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ، ومن خوف الفقر آمين ، وبالله عز وجل وبمقادير مسرورين ، وفى البلاء راضين وفى الرخاء شاكرين وفى الضراء صابرين وفى السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا إلا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها ، ورجوا الدنيا وقد رضوها قرضاً ، وقطعوا أمرها قطعاً ، وصبروا على مكارهها وتجرعوا مراراتها وزهدوا فى نعيمها وزهرتها فبالله أكذلك أنت ؟ . ولقد بلغنا : أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا : ذنب عَجَلت عقوبته ، وإذا رأوا الفقر مقبلاً قالوا : مرحباً بشعار الصالحين<sup>(٤٨)</sup> . وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح يوماً ، وعند عياله شىء أصبح كئيباً حزيناً ، وإذا لم يكن عندهم شىء ، أصبح فرحاً مسروراً ، فقيل له : الناس بالعكس إذا لم يكن عندهم شىء حزنوا ، وإذا كان عندهم شىء فرحوا وأنت ليس كذلك ، قال : إني إذا أصبحت وليس عند عيالى شىء فرحت إذ كان لى بمحمد ﷺ أسوة ، وإذا كان عند عيالى شىء اغتممت ، إذ لم يكن لى يومئذ بآل محمد ﷺ أسوة . وبلغنا : أنهم كانوا إذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا وقالوا : مالنا وللدنيا؟!!

(٤٧) مقتصداً ودون إسراف

(٤٨) أورده الغزالي فى الإحياء (٤/١٨٢٠) .

وما يراد بها ؟! فكأنهم على جناح خوف ، وإذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا : الآن تعاهدنا ربنا<sup>(٤٩)</sup> . وكان بعضهم يقول : إن أسراً أيامى على يوم أرجع إلى أهلى ، فيشكون إلى الحاجة ، وفي نسخة « أقرُّ أيامى لعينى » . وبلغنا : أن بعض الصحابة قال : « إن أسراً أيامى إلى أن يقال ليس فى البيت شيء ، ولا دينار ، ولا درهم ، ولا طعام ، لأن الله إذا أحب عبداً ابتلاه » . فهذا حال السلف و نعمتهم ، وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا ، فبالله أكذلك أنت ؟! والله إنك لبعيد الشبه بالقوم ! وسأصف لك أحوالك . أيها المفتون ضدّاً لأحوالهم ؛ ذلك بأنك تطغى عند الغنى ، وتبطر فى الرخاء ، وتفرح عند السراء ، وتغفل عن شكر التعماء وتقنط عند الصّراء ، وتسخط عند البلاء ، ولا ترضى بالقضاء ، نعم : وتبغض الفقر ، وتأنف من المسكنة ، وذلك فخر المسلمين ، وأنت تأنف من فخرهم ، وتدخر المال تجمععه خوفاً من الفقر ، وذلك من سوء الظن بالله ، وقلة اليقين بضمانه ، وكفى بهذا إثماً ، وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا ، وزهوتها ، وشهواتها ، ولذاتها . وقد بلغنا : أن رسول الله ﷺ قال : « شرار أمتى الذين غُدُّوا بالنعيم ، فرببت عليه أجسامهم »<sup>(٥٠)</sup> . وبلغنا أن بعض أهل العلم قال : « ليجيئن يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم ، فيقال لهم : ﴿ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا ، واستمتعتم بها ﴾<sup>(٥١)</sup> »<sup>(٥٢)</sup> . وأنت فى غفلة قد حرمت نعيم الآخرة ، بسبب نعيم الدنيا ، فيالها حسرة ومصيبة ! . نعم وعساك تجمع المال للتكاثر ، والعلو والفخر والزينة فى الدنيا . وقد بلغنا أن من طلب الدنيا ليكاثر بها ، أو يفاخر بها لقى الله وهو عليه غضبان<sup>(٥٣)</sup> ، وأنت غير مكترث لما حل بك من غضب الله حين أردت التكاثر والعلو ! . نعم وعسى المكث فى الدنيا أحب إليك من النقلة إلى جوار الله عز وجل ، فأنت تكره لقاء الله ، والله أكره للقائك ، وأنت فى غفلة ، وعساك تأسف على ما فاتك من عرّض الدنيا . وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ

(٤٩) انظر الإحياء للغزالي (١٨٢٠/٤) .

(٥٠) ذكره السيوطى فى الجامع الصغير ، وصححه الألبان حديث رقم (٣٥٩٩) ، والمجلولى فى كشف الحقائق ، وعزاه لابن أبى الدنيا فى ذم الغيبة ، والبيهقى عن فاطمة الزهراء بسند ضعيف ، انظر كشف الحقائق (٨/٢) ، وأورده الغزالي فى الإحياء (١٨٢١/٤) .

(٥١) الأحقاف : ٢٠ .

(٥٢) أخرجه عبد بن حميد عن أبى مجلز رضى الله عنه ، انظر الدر المنثور للسيوطى (٤٣/٦) ، وأورده الغزالي فى الإحياء (١٨٢١/٤) .

(٥٣) أورده الغزالي فى الإحياء (١٨٢١/٤) .

قال : « من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة ألف سنة »<sup>(٥٤)</sup> . وأنت تأسف على ما فاتك ، غير مكترث بقربك من عذاب الله تعالى . نعم ولعلك تخرج من دينك أحياناً ، لتوفير دُنْيَاك وتفرح بإقبال الدنيا عليك ، ويرتاح له قلبك سروراً . وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « من أحب الدنيا ، وسرته ذهب خوف الآخرة من قلبه »<sup>(٥٥)</sup> . وبلغنا أن بعض أهل العلم قال : « إنك لمحاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا ، ومَحَاسَبٌ بفرحك بالدنيا إذا قدرت عليها »<sup>(٥٦)</sup> . من أحب الدنيا وسرته نزع خوف الآخرة من قلبه وأنت تفرح بدنياك ، وقد سلبت الخوف من الله تعالى . نعم وعساک تعنى بأمر دنياك أضعاف عنايتك بأمر آخرتك ، وعسى مصيبتك في معاصيك ، أهون عليك من مصيبتك في انتقاص دنياك . نعم وخوفك من ذهاب مالك ، أضعاف خوفك من الذنوب وعساک تبذل للناس ما جمعت من الأوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا ، وعساک ترضى المخلوقين بمساختِ الله كيما تبر ، وتكرم ، وتعظم . ويحك فكأن احتقار الله تعالى لك يوم القيامة أهون عليك من احتقار الناس إِيَّاكَ ، وعساک تخفى من المخلوقين مساوئك ، ولا تكثر لاطلاع الله عليك فيها ، وكأن الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة في الناس ، وكأن العيب عندك أعلى قدراً من الله عز وجل ، تعالى الله عن جهلك . ويحك هل بقي من الأسواء<sup>(٥٧)</sup> شيء لم تحتو عليه نفسك ، فكيف تنطق عند ذوى الأبواب ، وهذه المسائل الفاضحة فيك ، وأنت متلوث في الأقدار ، وتحتج بمال الأبرار ، هيهات ما أبعدك من السلف ! والله لقد بلغنى أنهم كانوا فيما أُجِل لهم أزهدهم ، فيما حرم عليكم ، إن الذى لا بأس به عندهم ، كان من الموبقات عندهم ، وكانوا للزلة الصغيرة أشد استعظماً منكم لكبائر المعاصى ، وليت أطيب مالك ، وأحله عندك كان مثل شبهات أموالهم ، وليتك أشفقت من سيئاتك ، كما أشفقوا من حسناتهم أن لا تقبل منهم ، وليت صومك على مثل إفطارهم ، وليت اجتهادك في العبادة على مثل فتورهم ونومهم ، وليت جميع

(٥٤) ذكره السيوطى فى الجامع الصغير عن ابن عمرو ، وضعفه الألبانى حديث رقم (٥٤٢١) ، وأورده الغزالى فى الإحياء (١٨٢١/٤) .

(٥٥) أخرجه ابن عبد البر فى « جامع بيان العلم وفضله » عن الحسن (١٩٣/١) ، وأورده الغزالى فى الإحياء ، وقال الحافظ العراقى : لم أجده إلا بلاغاً للحوارث الخاسى ، انظر الإحياء (١٨٢١/٤) .

(٥٦) أورده الغزالى فى الإحياء (١٨٢١/٤) .

(٥٧) جمع سوء ، وهو كل ما يسىء ويفضح .

حَسَنَاتِكَ عَلَى مِثْلِ وَاحِدَةٍ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ .. وَلَقَدْ بَلَّغْنِي أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ قَالَ : « غِيْمَةٌ الصُّدِّيْقَيْنِ : مَا فَاتَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَنَهَمْتُهُمْ مَا زُوِيَ عَنْهُمْ مِنْهَا » (٥٨) . فَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ ، فَلَيْسَ مَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا مَعَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، فَسِيحَانُ اللَّهِ ! كَمْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ التَّفَاوُتِ ! فَرِيقٌ مَعَ خِيَارِ الصَّحَابَةِ فِي الْعُلُوِّ عِنْدَ اللَّهِ ، وَفَرِيقٌ مَعَ أَمْثَالِكُمْ فِي الْأَسْفَلِينَ ، أَوْ يَعْفُو اللَّهُ الْكَرِيمُ بِفَضْلِهِ . وَبَعْدَ فَإِنَّ زَعَمْتَ بِأَنَّكَ مُتَأَسِّرٌ بِالصَّحَابَةِ تَجْمَعُ الْمَالَ لِلتَّعْضِفِ ، وَالْبِذْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَدْبِرُ أَمْرَكَ . وَيَحْكُ هَلْ تَجِدُ فِي دِهْرِكَ مِنَ الْحَلَالِ ، كَمَا وَجَدُوا فِي دِهْرِهِمْ ؟ أَوْ تَحْسَبُ أَنَّكَ تَحْتَاطُ فِي طَلْبِ الْحَلَالِ كَمَا احْتَاطُوا ؟ .

لَقَدْ بَلَّغْنِي أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ قَالَ : « كُنَّا نَدْعُ سَبْعِينَ أَبَا مِنَ الْحَلَالِ ، مَخَافَةَ أَنْ نَقَعَ فِي بَابِ مِنَ الْحَرَامِ » (٥٩) . أَخَى أَفْتَطَمِعُ مِنْ نَفْسِكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْاِحْتِيَاظِ ؟ لَا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ مَا أَحْسَبُكَ كَذَلِكَ . وَيَحْكُ كَنْ عَلَى يَقِينٍ أَنْ يَجْمَعَ الْمَالَ لِأَعْمَالِ الْبِرِّ مَكْرًا مِنَ الشَّيْطَانِ لِيُوقِعَكَ بِسَبَبِ الْبِرِّ فِي اكْتِسَابِ الشَّيْبَاتِ الْمَزْجُوجَةِ بِالسُّحْتِ وَالْحَرَامِ . وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ اجْتَرَأَ عَلَى الشَّيْبَاتِ أَوْشَكَ أَنْ يَقَعَ فِي الْحَرَامِ » (٦٠) أَيُّهَا الْمَغْرُورُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ خَوْفَكَ مِنَ الْاِقْتِحَامِ فِي الشَّيْبَاتِ أَعْلَى ، وَأَعْظَمُ لِقَدْرِكَ عِنْدَ اللَّهِ ، مِنْ اكْتِسَابِ الشَّيْبَاتِ ، وَبِذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَسَبِيلِ الْبِرِّ . بَلَّغْنَا عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالَ : « لِأَنَّ تَدْعُ دِرْهَمًا وَاحِدًا ، مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ حَلَالًا ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَتَصَدَّقَ بِأَلْفِ دِينَارٍ مِنْ شِبْهَةٍ ، لَا تَدْرِي تَحُلُّ لَكَ أَمْ لَا ؟ » (٦١) . وَبَعْدَ فَإِنَّ زَعَمْتَ أَنَّكَ أَتَمُّ ، وَأَوْرَعُ مِنْ أَنْ تَتَلَبَّسَ بِالشَّيْبَاتِ ، وَإِنَّمَا تَجْمَعُ الْمَالَ بِزِعْمِكَ مِنَ الْحَلَالِ لِلْبِذْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَيَحْكُ إِنْ كُنْتَ كَمَا زَعَمْتَ بِالْعَاقِبَةِ فِي الْوَرَعِ ، فَلَا تَتَعَرَّضُ لِلْحِسَابِ ، فَإِنَّ خِيَارَ الصَّحَابَةِ خَافُوا الْمَسَاءَةَ !! وَبَلَّغْنَا أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ قَالَ : « مَا يَسْرُنِي أَنِّي أَكْتَسِبُ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ دِينَارٍ مِنْ حَلَالٍ ، وَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، وَلَمْ يَشْغَلْنِي الْكَسْبُ عَنْ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ ! قَالُوا : وَلَمْ ذَلِكَ يَرْحَمِكَ اللَّهُ ؟ قَالَ : لِأَنِّي غَنِيٌّ عَنْ مَقَامِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : عَبْدِي مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبْتَ ؟ وَفِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْفَقْتَ ؟ » الْحَدِيثُ (٦٢) . فَهَؤُلَاءِ الْمُتَّقُونَ كَانُوا فِي جَدَةِ الْإِسْلَامِ ، وَالْحَلَالِ

(٥٨) أوردته الغزالي في الإحياء (٤/١٨٢٢).

(٥٩) أوردته الغزالي في الإحياء (٤/١٨٢٢).

(٦٠) أخرجه ابن ماجه في سننه عن الشمي . حديث رقم (٣٩٨٤) ، وأوردته الغزالي في الإحياء (٤/١٨٢٣).

(٦١) أوردته الغزالي في الإحياء (٤/١٨٢٣).

(٦٢) يشير إلى حديث « لا تزول قدما عبد يوم القيامة ، حتى يسأل عن أربع خصال : عن عمرة فيما أفاء ، =

موجود لديهم ، تركوا المال وجلاً من الحساب ، مخافة أن لا يقوم خير المال بشره ، وأنت من نفاية الأمة ، والحلال في دهرك مفقود ، تتكالب على الأوساخ ، ثم تزعم أنك تجمع المال الحلال ! . ويحك وأين الحلال فتجمعه ، فلو كان الحلال موجوداً لديك ، أما تخاف أن يتغير عند الغنى قلبك ؟ فقد بلغنا أن بعض الصحابة كان يرث المال الحلال ، فيتركه مخافة أن يفسد قلبه ، أفتطمع أن يكون قلبك أتقى من قلوب الصحابة ، فلا تزول عن شيء من الحق في أمرك ، وأحوالك ، ، لكن ظننت ذلك ، لقد أحسنت الظن بنفسك الأمانة بالسوء . ويحك : إني لك ناصح ، أرى لك أن تقنع بالبُلغة ، ولا تجمع المال لأعمال البر ، ولا تتعرض للحساب ، فإنه بلغنا ، أن رسول الله ﷺ قال : « من نوقش الحساب عُذِبَ »<sup>(٦٣)</sup> . وقال ﷺ : « يؤتى بالرجل يوم القيامة ، وقد جمع مالاً من حرام ، فأنفقه في حرام ، فيقال : اذهبوا به إلى النار ، ويؤتى بالرجل قد جمع مالاً من الحلال ، فأنفقه في حرام ، فيقال : اذهبوا به إلى النار ، ويؤتى بالرجل قد جمع مالاً من حلال ، وأنفقه في حلال ، فيقال له : قف لعلك قصرت في طلب المال بشيء ، مما فرضت عليك من صلاة ، لم تُصَلِّها في وقتها ، أو فرطت في شيء من ركوعها ، وسجودها ، ووضوئها ، فيقول : لا يارب كسبت طيباً من حلال ، وأنفقت في حلال ، ولم أضيع شيئاً مما افترضت عليّ ، فيقال : فلعلك اختلت في شيء من مَرَكَبٍ ، أو ملبس ، أو شيء باهتٍ به فيقول : رب كسبت طيباً من حلالٍ ، وأنفقت في حلالٍ ، ولم أضيع شيئاً مما فرضت عليّ ، ولم أختل ، ولم أباه في شيء فيقال : لعلك منعت حق أحد ، أمرتك أن تعطيه من ذوى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، فيقول : لا يارب ، كسبت من حلال ، وأنفقت في حلال ، ولم أضيع شيئاً مما فرضت عليّ ، ولم أختل ، ولم أباه ، ولم أمتع حق أحد أمرتني أن أعطيه ، فيجىء أولئك فيخاصمونه ، فيقولون : يارب أعطيته ، وأغنيته ، وجعلته بين أظهرنا ، وأمرته أن يعطينا فإن كان أعطاهم ، ولم يضيع شيئاً

= وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل به . . والحديث أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس ، انظر مجمع الزوائد للهيتمي (٣٤٦/١٠) ، والدارمي في سننه عن معاذ بن جبل (١٣٥/١) والبيهقي في الفردوس حديث رقم (٧٤٩٨) ، والأثر أورده الغزالي في الإحساء (٤/١٨٢٣) . (٦٣) أخرجه أحمد في المسند عن عائشة (٩١/٦) ، والبخارى في صحيحه : كتاب العلم ، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه ، حديث رقم (١٠٣) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الجنة حديث رقم (٧٩) وأبو داود في سننه : كتاب الجنائز ، حديث رقم (٣٠٩٣) ، والترمذي في صحيحه : كتاب القيامة (٢٥٨/٩) وابن حبان في صحيحه (٢٣١/٩) ، كلهم عن عائشة رضی الله عنها .

من الفرائض ، ولم يخل في شيء ، قيل له : قف الآن هات شكر نعمة واحدة ، أنعمتها عليك ، من أكلة ، أو شربة ، أو لقمة ، أو لذة فلم يزل يُسأل ،<sup>(٦٤)</sup> . ويحك فمن ذا الذي يتعرض لمثل هذه المسألة إلا كل مُستدرج مغرور مثلك ! . ويحك إن هذه المُساءلة كانت لهذا الرجل ، الذي تقلب في الحلال ، وقام بالحقوق منها ، فأدى الفرائض بمحدودها ، وحوسب هذه المحاسبة فكيف تراه من يكون في حال أمثالنا الفُرقاء في فتن الدنيا ، وتحاليلها ، وشبهاتها ، وزينتها . ويحك من أجل هذه المسألة يخاف المتقون ، أن يَتَلَبَّسُوا بالدنيا ، ورَضُوا بالكفاف منها ، وعملوا بأنواع البر غير كسب المال فللك ويحك بهؤلاء الأخيار أسوة . ويحك فإن آيت ذلك وزعمت أنك بالغ في الورع ، والتقوى ، ولم تجمع المال إلا من حلاله ، بزعمك للتعفف ، والبذل في سبيل الله تعالى ، ولم تنفق شيئاً من الحلال إلا بحق ، ولم يتغير بسبب المال قلبك ، عما يحب الله تعالى ، ولم تسخط الله عز وجل في شيء من سرائرك ، وعلانيتك ، وتخاف . فإن كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغي لك أن ترضى بالبلغة ، وتعزل ذوى الأموال إذا وقفوا للسؤال ، وتَسْتَبِقُ مع الزمرة الأولى في زمرة المصطفى محمد ﷺ ، لاحبس عليك للمساءلة فإما سلامة ، وإما عَطَب . فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « يدخل صعايلك المهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بخمسمائة عام »<sup>(٦٥)</sup> . وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : « وأما أصحاب الأموال ، فإنهم يلقون من الحبس ، والعطش ماشاء الله »<sup>(٦٦)</sup> . وقال ﷺ : « يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيمتعون ، ويأكلون ، والآخرون حُباةً على رُكبيهم ، فيقول الله عز وجل : قبلكم طلبي »<sup>(٦٧)</sup> . أنتم حكام الناس وملوكهم ، فأروني ماذا صنعتم فيما أعطيتم؟<sup>(٦٨)</sup> . وبلغنا أن بعض

(٦٤) أورده الغزالي في الإحياء مطولاً ، وقال الحافظ العراقي : الحديث بطوله لم أقف له على أصل . انظر الإحياء كتاب ذم البخل (٤/١٨٢٤) .

(٦٥) أخرجه الترمذى في صحيحه عن أبي هريرة ، وقال : حديث حسن غريب ، انظر صحيح الترمذى (٩/٢١٢) ، وأحمد في المسند بلفظ « يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة سنة » ، انظر المسند (٢/٢٩٦ ، ٣٤٣) ، وأبو نعيم في الحلية (٧/٩١) ، وأورده الغزالي في الإحياء (٤/١٨٢٥) . (٦٦) أخرجه أحمد في المسند بلفظ « وحبس الغنى ما شاء أن يجبس » (١/٣٠٤) عن ابن عباس ، وأورده المنذرى في الترغيب وقال : رواه أحمد بإسناد جيد قوى انظر الترغيب (٤/١٣٩) . (٦٧) أى هناك من هو مطلوب قبلكم .

(٦٨) أخرجه الطبراني ، وابن حبان في صحيحه ، انظر الترغيب والترهيب (٤/١٣٦ ، ١٣٧) وأورده الغزالي في الإحياء (٤/١٨٢٥) .

**أهل العلم قال : « ما يسرنى أن لي حُمْرَ الثَّعْمِ ، ولا أكون في الرعيل الأول مع محمد ﷺ ، وحزبه »** (٦٩) . ياقوم فاستغنموا السباق مع المخيفين في زُمرة المسلمين ، وكونوا وجيلين من التخلف ، والانقطاع عن رسول الله ﷺ كما وجيل المتقون . قد بلغنا أن بعض الصحابة (٧٠) عطش ، فاستسقى فأوتى بشربة من ماء ، وعسل ، فلما أخذه فذاقه خنقته العبرة ، ثم بكى ، وأبكى ، ثم مسح الدموع عن وجهه ، وذهب ليتكلم فعاد في البكاء ، فلما أكثر البكاء ، قيل له : أكل هذا البكاء من أجل هذه الشربة ؟ قال : نعم . بينا أنا يوماً عند رسول الله ﷺ جالس ومامعه في البيت غيرى ، فجعل يدفع عن نفسه ، ويقول : « إليك عنى » . فقلت له : فذاك أبى وأمى ماأرى بين يديك أحداً فمن تخاطب ؟ قال : « هذه الدنيا تطاولت إليّ بصفتها وزينتها فقالت لى : يا محمد خذنى . فقلت : إليك عنى . فقالت : إن تنج منى يا محمد فإنه لا ينجو منى من بعدك » (٧١) . فأخاف أن تكون الدنيا قد لحقتنى فقطعتنى عن رسول الله ﷺ . ياقوم فهؤلاء الأخيار ، بكوا وجلا ، أن تقطعهم الدنيا عن رسول الله ﷺ بشربة ماء من حلال . ويحك وأنت في أنواع النعم ، والشهوات ، من مكاسب السحت ، والشبهات لا تحشى الانقطاع ! أف لك ما أعظم جهلك ! . ويحك لئن تخلفت في القيامة عن المصطفى محمد ﷺ لتنظرن إلى أهوال جزعت منها الملائكة ، والأنبياء . ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق . ولئن أردت الكثرة لتصيرن إلى حساب عسير . ولئن لم تقنع بالقليل لتصير إلى وقوف طويل ، وصراخ وعويل . ولئن رضيت بأحوال المتخلفين ، لتقطعن عن أصحاب اليمين ، وعن رسول رب العالمين ، ولتبطئن على نعيم المتنعمين . ولئن خالفت أحوال المتقين لتكونن من المحبوسين في أهوال يوم الدين . ويحك تدبر ما سمعت فإن زعمت أنك في مثل خيار السلف قَبِعَ بالقوت زاهد في الحلال ، بدُول لمالك ، مؤثِّرٌ على نفسك لا تحشى الفقر ، ولا تدخر لغد ، مُبْغِضٌ للتكاثر ، والغنى راضٍ بالفقر ، والبلاء فرح بالقلَّة والمسكنة ، مسرور بالذل والصُّعَة كاره للعلو والرِّفْعَة

(٦٩) أورده الغزالي في الإحياء (٤/١٨٢٥) .

(٧٠) أبو بكر الصديق انظر عدة الصابرين ص (٢٠٧) ، والإحياء (٤/١٨٢٥) .

(٧١) أخرجه أحمد في المسند ، عن أبى سعيد الخدرى ، انظر المسند (٣/٩١) . وابن أبى الدنيا عن زيد بن

أرقم ، انظر عدة الصابرين لابن قيم الجوزية ص (٢٠٧) وأورده الغزالي في الإحياء ، انظر الإحياء (٤/١٨٢٥) .

قوى في أمورك ، لا يتغير عن الرشد قلبك ، قد حاسبت نفسك في الدنيا ، وأحكمت أمورك كلها على ما وافق رضوان الله عز وجل ، ولن توقف للمساءلة ، ولا يحاسب مثلك من المتقين ، وإنما تجمع المال الحلال للبذل في سبيل الله . ويحك أيها المغرور فتدبر الأمور ، وأحسب النظر ، أما علمت أن ترك الاشتغال بالمال ، وفراغ القلب للذكر ، والتذكر ، والتذكار والفكر ، والاعتبار ، أسلم للدين ، وأيسر للحساب ، وأخف للمساءلة . وآمن من روعات القيامة ، وأجزل للثواب ، وأعلى لقدرك عند الله سبحانه وتعالى أضعافاً ؟ . بلغنا عن بعض الصحابة أنه قال : « لو أن رجلاً في حجره الدنانير يعطيها ، والآخر يذكر الله تعالى لكان ذاكر الله تعالى أفضل »<sup>(٧٢)</sup> . وبلغنا أنه سئل بعض أهل العلم في الرجل يجمع المال لأعمال البر قال : تركه أترّ به . وبلغنا أن بعض خيار التابعين ، سئل عن رجلين : أحدهما طلب الدنيا حلالاً فأصابها ، فوصل بها رَحِمَهُ وقدم لنفسه ، والآخر جانبها فلم يطلبها ، ولا تناوفاً فأبهما أفضل ؟ فقال : « بعيد والله ما بينهما ، الذي جانبها أفضل ، كما بين مشارق الأرض ومغاربها »<sup>(٧٣)</sup> . ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها في الآجل ، ولك في العاجل أن ترك الاشتغال بالمال أروح لبدنك ، وأقل لتعبك ، وأنعم لعيشك ، وأرضى لبالك وأقل لهومك ، وغمومك ، فما عذرک في جمع المال ، وأنت بترك المال أفضل ، ممن طلب المال لأعمال البر نعم : وشغلك بذكر الله أفضل من بذل المال في سبيل الله ، فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة ، والفضل في الآجل . وبعد فلو كان جمع المال لأعمال البر أفضل من تركه ؛ إذا والله لسبقكم النبي محمد ﷺ إلى هذا الفضل والخير الذي ترعمون في جمع المال ، ولكن رسول الله ﷺ علم أن رضوان الله تعالى في مجانبه الدنيا فجانبها<sup>(٧٤)</sup> . وبلغنا عنه عليه السلام أنه قال : « أتاني جبريل ﷺ بمفاتيح خزائن الأرض فولدني نفس محمد بيده ما بسطت إليها يدي »<sup>(٧٥)</sup> . فقال بعض الصحابة : لو يعلم فيها خيراً لبسط إليها يده ﷺ . وبعد فلو كان في جمع المال فضل عظيم لقد

(٧٢) أورده الغزالي في الإحياء (١٨٢٦/٤) .

(٧٣) أورده الغزالي في الإحياء (١٨٢٦/٤) .

(٧٤) انظر المصدر السابق (١٨٢٧/٤) .

(٧٥) أخرجه أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر مطولاً ، انظر المسند (٤٨٩/٣) ، وأورده المنذرى في الترغيب والترهيب عن ابن عباس ، وعزاه للطبراني بإسناد حسن والبيهقي في الزهد ، انظر الترغيب والترهيب (١٩٦/٤) .

وجب عليك في مكارم الأخلاق أن تتأسي بنبيك عليه السلام ؛ إذ به هداك الله ، وترضى بما اختار لنفسه من مجانبة الدنيا . وبلغنا عنه - عليه السلام - أنه قال : « مالي للدنيا وما أنا والدنيا إلا كراكب سائر استظل بشجرة ثم رحل عنها » (٧٦) . وقال عليه السلام : « اللهم أحيى مسكينا وأمتى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين ولا تحشرنى فى زمرة الأغنياء » (٧٧) . وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : « اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً » (٧٨) . ويحكم أفتحسبون أن محمداً ﷺ جهل الاختيار لنفسه لا والذى أكرمه بالرسالة ما اختار لنفسه إلا أفضل الأمور وأعلاها . ويحك فارض لنفسك ما رضىه نبيك محمد ﷺ ، وكن مع نبيك بالتأسي به وسر مع لواء المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام ، سابقاً إلى جنة المأوى . أحي تدبر ما سمعت ، وكن على يقين أن السعادة والفوز فى مجانبة الدنيا . فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « إن سادات المؤمنين فى الجنة من إذا تغدى لم يجد عشاء ، وإذا استقرض لم يجد قرصاً ، وليس له فضل كسوة إلا ما يوارى به بدنه ، ولم يقدر على أن يكسب ما يغنيه ، يسمى مع ذلك ويصبح راضياً عن ربه : ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، مِنَ النَّبِيِّينَ ، وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ﴾ (٧٩) » . أحي تدبر ما سمعت وكن على يقين أن الشرّ مجموع فى الاستكثار من عَرْضِ الدنيا . بلغنا ذلك عن رسول الله ﷺ أنه قال لبلال : « إن استطعت أن تلقى الله فقيراً ولا تلقاه غنياً فافعل ، قال : وكيف لى ذلك يارسول الله ؟ قال : مارزقت فلا تحبته ، وما

(٧٦) أخرجه الترمذى فى صحيحه عن عبد الله ، وقال : حديث حسن صحيح انظر صحيح الترمذى (٢٢٣/٩) ، وابن ماجه فى سننه كتاب الزهد حديث رقم (٤١٠٩) .

(٧٧) أخرجه الترمذى فى صحيحه عن أنس ، وقال : حديث غريب (٢١٣/٩) ، وابن ماجه فى سننه عن سعيد الحدردى ، انظر سنن ابن ماجه كتاب الزهد حديث رقم (٤١٢٦) ، والطبرانى فى الأوسط ، انظر مجمع الزوائد للهيتمى (٢٦٢/١٠) .

(٧٨) أخرجه البخارى فى صحيحه انظر فتح البارى (٢٨٧/١١) ومسلم فى صحيحه عن أبى هريره ، انظر صحيح مسلم كتاب الزهد حديث رقم (١٩) ، والترمذى فى صحيحه كتاب الزهد ، وقال : حديث حسن صحيح (٢١٥/٩) ، وأورده المنذرى فى الترغيب والترهيب كتاب الزهد (١٧٠/٤) ، والغزالى فى الإحياء (٢٤٢٤/٥) . أى بقدر ما يمكس الرمق من المطعم .

(٧٩) النساء : ٦٩ .

(٨٠) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١٠٠/٧) ، والطبرانى وقال : هذا حديث غريب من حديث سفيان الثورى عن محمد بن زيد يقال هو العبدى ، تفرد به عبد الملك ، انظر عدة الصابرين لابن قيم الجوزية ص (٢٠٤) ، وأورده الغزالى فى الإحياء ، فى كتاب ذم البخل ، انظر الإحياء (١٨٢٧/٤) .

ابتليت به<sup>(٨١)</sup> فلا تمتع ، قال : وكيف لي بذلك يا رسول الله ؟ قال : أو النار<sup>(٨٢)</sup> .  
ويحك إن عقلت ما سمعت فمالك في جمع المال حجة تخرج بها أكثر من طلب البلغة  
من الله ، وبالله فليكن الاشتغال ! . إلى متى جمعت هذا المال بعد هذا البيان فإنك  
مبطل فيما ادعيت أنك للبدل والفضل تجمعه ، لا ولكنك خوفاً من الفقر تجمعه وللتعظيم  
والزينة والتكاثر والتفاخر والعلو والرياء والسمعة والتعظيم والتكرمة تجمعه ثم تزعم أنك  
لأعمال البر تجمع المال . ويحك راقب الله واستحي من دعواك أيها المغرور . ويحك  
إن كنت مفتوناً بحب الدنيا ، فكن مُقِرّاً أن الفضل والخير والرضى بالبلغة بمجانبة  
الفضول ، نعم ، وكن عند جمع المال مزريراً على نفسك معترفاً بإساءتك ، ورجلاً من  
الحساب فذاك أنجي لك ، وأقرب إلى العفو من طلب الحُجَجِ لجمع المال . أخى تدبر  
ما سمعت ، وانظر لنفسك بعقلك ، فالخط لك في مجانبه الدنيا ، والله عنك غنى وأنت  
إليه فقير . إخواني اعلموا أن دهر الصحابة - رضى الله عنهم - كان الحلال فيه  
موجوداً ، وكانوا مع ذلك أروع الناس ، وأزهدهم في المباح لهم ، ونحن في دهر الحلال  
فيه مفقود ، فكيف لنا من الحلال بمبلغ القوت ، وستر العورة ؟ فأما جمع المال في  
دهرنا فأعاذنا الله ، وإياكم من ذلك . وبعد فأين لنا بمثل تقوى الصحابة ، وورعهم ،  
ومثل زهدهم ، واحتياطهم ؟ وأين لنا مثل ضمائرهم ، وحسن نياتهم ؟ ذهبنا ورب  
السماء - بأدواء<sup>(٨٣)</sup> النفوس وأهوائها ، وعن قريب يكون الورود فيالسعادة الخفين<sup>(٨٤)</sup>  
إذا سبقوا ! وبالغموم المثقلين إذا وقفوا ! وبالسرور المتقين - يوم النشور ! وحزن طويل  
لأهل التكاثر ، والتخاليط ، وقد نصحت لكم إن قبلتم ، والقابلون لهذا قليل ، وفقنا  
الله وإياكم لكل خير برحمته .

## الباب الرابع عليك بالقناعة والتواضع

إخواني ثم التمسيت باباً عظيماً الشأن يغلق عن فتن الدنيا ، وغرورها ، ويفتح عن

(٨١) أى لا تمتع ما ابتلاك الله به واخبرك من عرض الدنيا عن محتاجون إليه .

(٨٢) أورده الشوكاني في الفوائد المجموعة ، وعزاه إلى الخطيب عن بلال مرفوعاً ، والطبراني عن ابن مسعود مرفوعاً ، والزارع عن أبي هريرة مرفوعاً ، وقال ابن حجر في زوائده : إسناده حسن ، انظر الفوائد المجموعة : كتاب الزهد والأدب حديث رقم (٥٨) .

(٨٣) سقطت من الأصل واستدركتها من المصادر الخطة للنص . والأدواء جمع داء .

(٨٤) الذين ساءوا إلى مغفرة من الله ورضوانه .

الآخرة ، وبركاتها فوجدته فى القناعة ، والتواضع وهما ضد المكاثرة والكبر وذلك أن العبد إذا رضى بالتواضع فى الدنيا فقد تعجل نفى الكبر عن قلبه ، فلم يأسف على الرفعة ، والعلو فسلم من فتن الدنيا وعظيم أيامها ، وهو بتواضعه مغتبط فى العاجل ، وجيه عند الله ، وكذلك إذا قنع العبد بالبلغة لم يتكالب على التكاثر مكالبة الكلاب على الجيفة فهو رخي البال فى دنياه ، قليل الآثام فى دينه ، رضى باليسير من الرزق ورضى الله عنه باليسير من العمل فتعجل بالقناعة راحة العاجل وسعد برحمة الله فى الآجل . إخواننا ألا فراقبوا الله عز وجل . إخوانى واقنعوا بما أجزأ وكفى ، ودعوا طلب الفضول<sup>(٨٥)</sup> فى الذى لا فخر بكم إليه<sup>(٨٦)</sup> . فإنه بلغنا أن « فضول الدنيا عند الله تعالى رجس ويؤتى بالدنيا يوم القيامة فيقال : ميزوا منها ما كان لله ، واقدفوا بسائرها فى النار » . وبلغنا « أن الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله تعالى ، وما أدى إلى ذكر الله »<sup>(٨٧)</sup> . وبلغنا عنه عليه أفضل الصلاة والسلام أنه قال : « دعوا الدنيا لأهلها فإن من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حثفه وما يشعر »<sup>(٨٨)</sup> . وبلغنا أن بعض الصحابة قال : « شرار الناس : من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه » . يا قوم فمن لم يقنع بما يكفيه كيف يأمن أن يكون من أهل هذا الحديث ؟ فإنه بلغنا أنه عليه الصلاة والسلام قال : « لو أن لابن آدم واديين من ذهب ، لا يتغنى هما ثالثا . ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب »<sup>(٨٩)</sup> . ألا ومن لم يقنع بما يكفيه كيف يأمن أن يكون من أهل هذا الحديث ؟ فإنه بلغنا أن بعض الصحابة قال : « ويل لكل جماع فاتح فاه ، كأنه مجنون يرى ما عند الناس ، ولا يرى ما عنده ، وييل له من عذاب يوم طويل ، لو استطاع لوصل الليل بالنهار » . ألا ومن لم يقنع بما يكفيه كيف يأمن أن يكون من أهل هذا الحديث ؟ فإنه بلغنا أن ابن مسعود رضى الله عنه وجماعة شكوا الحق إلى رسول الله ﷺ فقال لهم رسول الله ﷺ : « اصبروا ، وأبشروا ، فإن الأمر وشيك ، وكان

(٨٥) الفضول : ما زاد عن الحاجة . (٨٦) لا احتياج لكم إليه .

(٨٧) أخرجه الترمذى فى صحيحه عن أبى هريرة وقال : حديث حسن غريب ، انظر صحيح الترمذى كتاب الزهد (٩/١٩٨ ، ١٩٩) ، وابن ماجه فى سننه كتاب الزهد حديث رقم (٤١١٢) .

(٨٨) أورده السيوطى فى الجامع الصغير عن أنس وضعفه الألبانى حديث رقم (٩٨٠) .

(٨٩) أخرجه الترمذى فى صحيحه ، عن أنس بن مالك ، وقال : حديث حسن صحيح غريب ، انظر صحيح الترمذى : كتاب الزهد (٩/٢٠٥) ، والبخارى عن بريدة وقال الهيثمى : رجاله صحيح غير صحيح أبو العلاء وهو ثقة ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى (١٠/٢٤٤) .

قد تم . وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : « سيأتي بعدى قوم يأكلون أطايب الدنيا ، وألوانها ، وينكحون أجمل النساء ، وألوانها ، ويلبسون أجمل الثياب ، وألوانها ، ويركبون أفره الدواب ، وألوانها ، لهم بطون من القليل لا تشبع ، وأنفس بالكثير لا تقنع ، عاكفون على الدنيا يغدون ، ويروحون إليها ، اتخذوها آلهة دون إلههم ، ورباً دون ربهم ، إلى أمرها ينتهون ، وأهواءهم يتبعون ، فعزيمة - من محمد ﷺ - لمن أدرك ذلك الزمان من عقب عقبكم ، وخلف خلفكم لا يسلم عليهم ، ولا يعود مرضاهم ، ولا يتبع جنازهم ، ولا يوقر كبيرهم ، فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام » (٩٠) . إلا ومن لم يقنع بما يكفيه كيف يأمن أن يكون ممن قال الله فيه : ﴿ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٩١) . وكيف يأمن من لا يقنع أن يحل به هذا الوعيد من الله تعالى ، فيهلك أعاذنا الله وإياكم من حب التكاثر ، وأنعم علينا ، وعليكم بالقناعة ، والتواضع . يا قوم إن الغنيمة - والله - في الرضى بالبلغة لا في التكاثر . والغنيمة - والله - في خمول الذكر لا في الرفعة ، والرياسة والغنيمة - والله - في ذل النفس لا في التجبر ، وقد نصحت لكم إن قبلتم ، والقابلون لهذا قليل وفقنا الله وإياكم لكل خير برحمته .

## الباب الخامس

### اطلبوا القوت من حله

إخواني فمتى انعم الله عليكم بالقناعة والتواضع فاشكروه كثيرا ، وراقبوا الله في هذا القوت الذي فنعمت به فالتمسوه من أحل وأطيب ما تجدون إليه سبيلاً ، ليكون أيسر لحسابكم ، وليتم لكم خير الآخرة بطيب المكسب ، كما تعجلتم بالقناعة التي هي راحة للقلب في الدنيا ، واعلموا أن الحلال الذي لا شك فيه عزيز منذ زمان ، وإنما لفتى شبهات ممزوجات بالحرام والسُّحت ! فيالها شبهات مستورة ! لكنها من التخاليط التي تعملون فمتى يكون لأمثالنا ورع ، أو متى يصفو لنا عمل ، ونحن نمتلىء من الشهوات ، ونلبس الزينة من الشبهات !!! . وبلغنا أن بعض أهل العلم قال :

(٩٠) أخرجه البزار ، وقال الهيثمي : فيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وقد وثق والجمهور على ضعفه ، وبقية رجاله ثقات ، انظر مجمع الزوائد للهيتمي (٢٥٠/١٠) ، وأورده الفزالي بطوله في الإحياء ، وقال الحافظ العراقي : الحديث سنده ضعيف ، انظر الإحياء ، كتاب ذم البخل (١٧٦٢/٤) .

(٩١) التكاثر : ١ - ٤ .

« يبعث الله يوم القيامة أقواماً من قبورهم ، أثنى من الجيف ، وهم الذين يتلذذون بفضول أموالهم من الشبهات ، قال : والله وأنا منهم » . إخوانى فهذا العالم الخائف كان هذا حاله عند نفسه ، وإشفاقه من عواقب الشبهات ! فترى كيف يكون حال أمثالنا الغرقاء في هذه الدنيا ، وشهواتها ، وشبهاتها ، وأقدر من الشبهات ١٢ . ألا فرأبوا الله ، وتورعوا في اكتساب القوت ، فإن قوام الدين بالورع . وقد بلغنى أن العبادة سبعون جزءاً ، أفضلها طلب الحلال . وروى أن طالب القوت من حله كالغازي في سبيل الله تعالى<sup>(١٢)</sup> . وبعد فإن كثير العبادة مع خبث القوت لا يؤمن أن يعود بهاء . وبلغنا عن بعض الصحابة أنه قال : « إذا طاب المكسب زكا العمل . وسُتِرَدَ فتعلم » . وحكى عن بعض أهل العلم أن الشيطان يقول : « خصلة أريدها من ابن آدم ثم أخلى بينه وبين ما يريد من العبادة أجعل كسبه من غير حل » : إن تزوج حرام من حرام وإن أظفر أظفر على حرام ، وإن حَجَّ حَجَّ على حرام » . إخوانى فتحرزوا في طلب القوت ، وراقبوا الله في الحرام أن تقربوه ، وتحرزوا من تخليط الشبهات فقد كان في السلف الصالح من يدع سبعين باباً من الحلال مخافة أن يقع في باب واحد من الحرام ، ألا فتحرزوا من الشبهات أهلها ، وأسترها ، وأقلها دنساً ، وأخلقها بالسلامة . فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « الحلال بين والحرام بين ، وبينهما شبهات لا يدري كثير من الناس ، أمن الحلال هي أم من الحرام »<sup>(١٣)</sup> . وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : « من اجتراً على الشبهات ، يوشك أن يقع في الحرام »<sup>(١٤)</sup> . إخوانى فتنقلوا في اكتساب القوت ، من حالة إلى حالة ، ومن حرفة إلى حرفة ، ما هو أسلم منها ، ومن كسب إلى كسب ما هو أصلح منه ، لتكونوا بالتقوى عاملين وللحلال طالبين . وبعد فتحرزوا في مكاسبكم ، من فنون الربا ، فإنه بضع وسبعون باباً ، واتفوا الخيانة ، والبخس والتطفيف ، والكذب ، والحلف ،

(٩٢) أورده الغزالي في الإحياء (٨١٢/٢) .

(٩٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن النعمان بن بشير كتاب الإيمان : باب رقم (٣٩) ويوع (٣) انظر فتح الباري (٣٤٠/٤) ومسلم في صحيحه كتاب المساقاة رقم (١٠٧) و(١٠٨) وأبو داود في سننه كتاب البيوع باب (٣) والترمذي في صحيحه ، وقال : حديث حسن صحيح (١٩٨/٥) والنسائي في سننه كتاب البيوع ، باب رقم (٣) وقضاة (١١) ، وابن ماجه في سننه ، كتاب الفتن باب (١٤) والدارمي في سننه كتاب البيوع باب (١) وأحمد في المسند (٢٦٧/٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٥) .

(٩٤) أخرجه أحمد في المسند عن النعمان بن بشير ، انظر المسند (٢٧١/٤) ، وأبو داود في سننه بلفظ « من وقع في الشبهات وقع في الحرام » انظر سنن أبي داود كتاب البيوع باب في اجتناب الشبهات حديث رقم (٣٣٣٠) .

والمدح ، واحتاطوا لأنفسكم فإن دلالة التقوى في الورع ، وبالورع يعرف المتقون . وقد بلغنا عنه عليه أفضل الصلاة والسلام أنه قال : « من غش مسلماً فليس منا »<sup>(٩٥)</sup> . وقال عليه الصلاة والسلام : « ويل وويل للذين يستحلون الحرام ، والشبهات بالشهوات » . إخواني فراقبوا الله فإن الرضى بالقليل مع الفوز العظيم ، أفضل من كثرة المال ، مع الحساب الشديد والعذاب الأليم .

## الباب السادس

### الاقتصاد فيما رزقتم وحذارٍ من الإسراف !

إخواني أوصيكم بالاقتصاد فيما رزقتم ، فإنه من صلاح الدين ، وأحذركم الإسراف في وقت الغنى ؛ فإن الله تعالى يكره السرف في كل شيء ، وقد ذم الله تعالى المسرفين ، ومدح الذين لم يسرفوا ، ولم يَقْتَرُوا<sup>(٩٦)</sup> . وبلغنا عن بعض التابعين أنه قال : « كفى بهذا إسرافاً أن يأكل العبد ما يشتهي ، ويلبس ما يشتهي » . وبلغنا عن بعض أهل العلم قال : « يجيء يوم القيامة ، قوم يطلبون حسنات لهم عملوها ، فيقال لهم : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ، وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾<sup>(٩٧)</sup> ،<sup>(٩٨)</sup> . ألا فكونوا مقتصدين في أحوالكم من غير إقتار ، ولا إسراف .

## الباب السابع

### إياكم والبخل

إخواني : واحذركم ، البخل على الله عز وجل ، فإنه يحرم خير الدنيا ، والاخرة ، ولا يجاور الله في داره بخل . بلغنا « أن البخيل بعيد من الله ، بعيد من رسوله عليه الصلاة والسلام ، بعيد من الجنة ، قريب من النار »<sup>(٩٩)</sup> . وبلغنا أن رسول الله ﷺ

(٩٥) أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ « من غشنا فليس منا ، عن أبي هريرة انظر صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم (١٦٤) ، وأبو داود في سننه كتاب البيوع حديث رقم (٣٤٥٢) ، والترمذي في صحيحه وقال : حديث حسن صحيح انظر صحيح الترمذي (٥٥/٦) وابن ماجه في سننه كتاب الفجارات حديث رقم (٢٢٢٤) والدارمي في سننه كتاب البيوع باب رقم (١٠) وأحمد في المسند (٥٠/٢) ، ٢٤٢ ، ٤١٧ ، ٤٦٦/٣ ، ٤٥/٤ ، ٦٠) وابن حبان في صحيحه (٤٣٤/٧) .

(٩٦) إشارة إلى قوله تعالى في وصف عباد الرحمن ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتَرُوا ﴾ .

(٩٧) الأحقاف : ٢٠ .

(٩٨) أخرجه عبد بن حميد عن أبي مجلز ، انظر الدر المنثور للسيوطي ٤٢/٦ .

(٩٩) أخرجه البيهقي وضعفه عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ « البخيل بعيد من الله بعيد من الجنة »

كان يطوف بالبيت ، فإذا هو برجل متعلقٍ بأستار الكعبة ، وهو يقول : بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي . فقال رسول الله ﷺ : « وما ذنبك ؛ صفه لي ؟ قال : هو أعظم من أن أصفه لك . فقال : ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون ؟ قال : بل ذنبي أعظم يارسول الله . قال : ذنبك أعظم أم الجبال ؟ قال : بل ذنبي أعظم يارسول الله . قال : ذنبك أعظم أم البحار ؟ قال : بل ذنبي أعظم يارسول الله ، قال : ذنبك أعظم أم السموات ؟ قال : بل ذنبي أعظم يارسول الله . قال : فذنبك أعظم أم العرش ؟ قال : بل ذنبي أعظم يارسول الله . قال : فذنبك أعظم أم الله ؟ قال : بل الله أعظم ، وأجل . قال : ويحك ! فصفه لي . قال : يارسول الله : إني رجل ذو ثروة من المال ، وإن السائل ليأتيني ليسألني ، فكأنما يستقبلني ، بشعلة من نار ، فقال رسول الله ﷺ : إليك عنى لا تحرقنى بنارك ، والذي بعثنى بالهدى ، والكرامة لو قمت بين الركن ، والمقام ، ثم صليت ألف ألف عام ثم بكيت حتى تجرى من دموعك الأنهار ، وتسقى بدموعك الأشجار ، ثم مت ، وأنت لئيم لكذبك الله في النار ! ويحك أما علمت أن البخل كفر ، وأن الكفر في النار ويحك أما علمت أن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٠) (١٠١) .

ألا ومن أعظم جرماً ممن وهبه الله الكثير من المال ويستقرض منه القليل (١٠٢) فيبخل به عليه . أعاذنا الله وإياكم من البخل .

## الباب الثامن إياك وأصحاب السوء

إخواني : وأحذركم مخالطة الناس ، فإن جميع التعدي ، والأوزار مجموع في مخالطتهم ، ومعاشرتهم ، وما تشعرون ، وإنما يعلم أهل الورع ، والمحاسبة ، ولسنا ممن نسلم بديننا ، إذا اجتمع شياطين الإنس ، والجن ، ونحن كبعضهم يوحى بعضنا

- قريب من النار ، انظر الدر المنثور للسيوطي (١٩٧/٦) ، والترمذي في صحيحه عن أبي هريرة وقال : حديث غريب ، انظر صحيح الترمذي كتاب البر باب رقم (٤٠) (١٤٠/٨) .

(١٠٠) الحشر : ٩ .

(١٠١) أورده الفزالي في الإحياء بطوله وقال الحافظ العراقي : حديث باطل لا أصل له ، انظر الإحياء كتاب ذم البخل (١٧٩٩/٤ ، ١٨٠٠) .

(١٠٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴾ .

إلى بعض زخرف القول غرورا . ألا فعاشروا من الناس رجلين : أحدهما : يُعِينُ على البر ، والتقوى ، والآخر : يعين على أحوالك من الدنيا ، فإن جمع الله المعونة على الدين ، والدنيا في رجل واحد فتمسك به ، وجانب من سواه جميعهم ضرر في الدين إلا المعين على البر . ألا وإن أفضل السلامة ، في مجانبة الناس ، وهي أجزل ثواباً ، وأعظم مما تحسبون . وكذلك بلغنا : أن العبادة عشرة أجزاء واحد منها في الصمت ، وتسعة في مجانبة الناس<sup>(١٠٣)</sup> . وقد نصحت إن قبلتم - والقابلون لهذا قليل - والصبر على الوحدة شديد ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وفقنا الله وإياكم ، لكل خير برحمته . ألا فزايولوا<sup>(١٠٤)</sup> الناس بالقلوب ، والأعمال ، وواصلوهم بالسلام وبما يجب من حقوق المسلمين .

## الباب التاسع الرضا بقضاء الله

إخواني : وبعد فما أتاكم عن الله عز وجل ، والرسول عليه السلام من رخص الله فخذوها . فإنه بلغنا أن الله عز وجل يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه<sup>(١٠٥)</sup> . فارغبوا فيما أيسر لكم من كل سهل يسير . فقد بلغنا أن رسول الله ﷺ كان يرغب كثيرا في السهل اليسير من الأمور ، فلا تعدلوا عن العاقبة في الأحوال كلها ، ولا تتعرضوا للبلوى فلسنا من أهلها<sup>(١٠٦)</sup> . وبعد : فإن ابتليتم بشيء من المكآره ، والمصائب فعند ذلك فجاهلوا أنفسكم على الصبر في الصّراء ، فإن ذلك نظر من الله لعبده فاتقوا الشكوى ، وقلة الرضى بالقضاء . فإنه

(١٠٣) أورده الغزالي في الإحياء (٨١٣/٢) ، وقال : تسعة منها في طلب الحلال .

(١٠٤) فزايولوا : زايله مزايلة ، وزيالاً : فارقه ، وتزايولوا تزيانوا ، وتفرقوا ، والمقصود فارقوا الناس ولاطوهم بالقلوب والأعمال ، وإن كان هذا لا يمنعكم أن تواصلوهم بالسلام وبما يجب من حق المسلم على المسلم .

(١٠٥) أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر وقال الهيمى : الحديث إسناده حسن ، انظر مجمع الزوائد

(١٦٢/٣) ، وأبو نعيم في الحلية عن معمر بن عبد الله ، انظر الحلية (١٠١/٢) ، وأحمد في المسند عن ابن

عمر ، بلفظ إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته ، انظر المسند (١٠٨/٢) ، والديلمي

في الفردوس حديث رقم (٥٧٧) .

(١٠٦) أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ، ما نهتكم عنه فاجتنبوه .. ما أمرتكم به فافعلوا منه ما

استطعتم . انظر صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم (١٣٠) ، وكتاب الحج حديث رقم (٤١٢) ،

وابن ماجه مقدمة باب رقم (١) .

بلغنا أن الله - جل ثناؤه - يقول : « من لم يرضَ بقضائي ، ويصبر على بلائي ، فليخذ رباً سواي » (١٠٧). وبلغنا أن الله - جل ثناؤه - يقول : « من رضى بقضائي ، وحكمي ، وقَدَرِي فله الرضى ، وإذا لقيني أرضيته ، ومن سخط بقضائي ، وحُكْمِي ، وقَدَرِي فله السُّخْط ، وإذا لقيني أسخطته » (١٠٨). ألا وكفى بهذا مصيبة ، حلت بعبد ساءه نظر الله له ، فلا تحزنوا لنظر الله لكم . إخواني : واعلموا أن السرور في مصائب الدنيا ، وذلك دخر للصابرين ، ومحو للخطايا . وقد بلغنا عن بعض أهل العلم أنه قال : « إن الذى لا يفرح بالمصيبة لما يرجو من كفارة الخطايا تقول الملائكة : داويناها فلم يبرأ » . ويحكم ! فمن أولى بالسرور من مصائب الدنيا ، ممن أيقن باختيار الله له ، واحتملها قليلا ، وسعد بها طويلا . ومن أولى بالسرور من المكارِه ، ممن نظر الله له فكفر بالمصيبة مساوته ، وأثابه عليها ثواباً بغير حساب ، وأسعده بها أبد الأبد ، أسعدنا الله وإياكم ، برضاه عنا ، آمين آمين يارب العالمين .

## الباب العاشر مكائد الشيطان

إخواني اعلموا أن الشيطان يحزن طويلا عند الطاعات ، وله مكائد فهو لا يقصر في إبطال الطاعات ، ويوسوس في النفوس حبَّ الثناء ، والتعظيم ، والإعجاب ، والتكبر ، ودعوى علوِّ الدرجات ، واتباع الهوى فمتى أنعم الله عليكم بأعمال البر فتحرزوا من الشيطان ، وراقبوا الله أن تلتمسوا بالدين عَرَضًا من الدنيا ، وتلتمسوا الثناء ، والتعظيم بأسباب الدين ، فما أخلق ذلك أن يمحق أعمال العباد . وبعد : فمتى ابتليتم بالمِدْحَة ، والتركية فلا تعجبوا بذلك ، فإنه ضِرَارٌ بالدين ، وإذا سبق السرور بالمِدْحَة إلى القلب ، فلا تُصروا على ذلك ، ورُدُّوا السرور بالعلم ، بضَرَرِ التزكية فى الدين ، وردوا بالكراهية المِدْحَة واستعينوا بالله من شر التزكية فما يؤمنكم أن تكونوا من الذين لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ، ولا يزيكهم ، ولهم عذاب أليم !؟ وبعد : فإنه بلغنا « أن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة من رأى الناس أن فيه خيراً ،

(١٠٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس بن مالك حديث رقم (١٩٦) ، وأورده السيوطي في الجامع الصغير عن أنس بن مالك ، وضعفه الألباني انظر الجامع الصغير حديث رقم (٥٨٥٤) .  
(١٠٨) أخرجه أحمد في المسند بنحوه عن أبى العلاء بن الشخير ، انظر المسند (٢٤/٥) .

ولا خير فيه ، وعسى المشرور بالمدحة أن يكون من أشد الناس عذاباً يوم القيامة ، وما يشعر . فراقبوا الله سبحانه ، وجاهدوا أنفسكم على نفي السرور ، إذا بليتم بالمدحة حتى توافوا يوم القيامة ، وتعينوا الذى لكم عند الله فإما سرور دائم فى دار الكرامة ، وإما حزن طويل فى العذاب الأليم ، أعاذنا الله تعالى ، وإياكم من ذلك برحمته .

## الباب الحادى عشر إياكم والإعجاب بأعمالكم

إخوانى : اتقوا الإعجاب على أعمالكم ، أن تستكثروها لربكم عز وجل ، فيمقتكم الله عز وجل على ذلك ، واعلموا أن أعمالكم لا تقوم بشكر نعمة واحدة ، من نعم الله تعالى عليكم ، بل النعمة الواحدة ، تستوجب جميع أعمالكم كلها ، وسائر النعم وافرة يطالبكم بشكرها فما ظنكم ؟ وبعد : فإن أعمالكم بالبر نعم من الله عليكم مجددة ، فمتى تأتون بشكرها ، ولئن شكرتم إن شكركم لنعم مجددة عليكم ، ولولا إلهامه إياكم الشكر لما شكرتم ، ولا توجهتم له أبداً . وبعد : فلو عرفتم عظمة الله ، وكبريائه وجلاله ، والذى هو له أهل لاستحييتهم من ذكر أعمالكم ، ولو علمتم قدر أيادى الله تعالى ، ونعمه عليكم لاستقلتم أعمال الخلاق لنعمة واحدة ، ولأشفقتهم من بقية النعم ، أن يطالبكم بشكرها ، فكيف تستكثرون أعمالكم المشوبة بالآفات ، وكيف يعجب بأعماله من كانت الأعمال ميتاً من الله عليه ، وعليه من المنن فى الدين ، والدنيا أكثر من أن تعد وتحصى ، ومن يعلم قدرها إلا الممتنُّ بها ، فيالمقصر فى الشكر ، ما أزين به الاستحياء من ذكر أعماله ، وباللمفرط فى حقوق الله عز وجل ، ما أولى به الوجل ، والإشفاق لتضييعه كثيراً من أمور ربه عز وجل . وبعد : فإن اللبيب العالم بالتقصير فى غموم ، وشغل عن الإعجاب بأعماله ، ألا واستعينوا على نفي الإعجاب باحتقار أعمالكم ، وتذكر أيادى الله لديكم ، وبالعلم بتقصيركم فيما يجب لله عليكم ، وبالوجل من زوال النعم عند تضييع الشكر .

## الباب الثانى عشر الاستعانة بالله على نفي الكبر من القلب

إخوانى : وأحذركم الكبر ، فراقبوا الله تعالى أن تزدروا على أحد من الأمة ، أو

تجددوا الحق ، إذا قيل لكم ، فإن الله تعالى ، يسخط لذلك ، ويصغر المتكبرين !  
 وبعد : فكيف تزددون على مسلم ، لا تدرون بما يختم له ، ولكم ، ولا تدرون إلى  
 أى الدارين مصيركم . وبعد : فإن نصحت نفسك ، فأنت بالازدراء عليك أولى ،  
 أو ليس قد اطلعت من أسوء نفسك ، وخبث سريرتك ، على ما لم تطلع على مثله  
 من سريرة غيرك ! فإن زعمت أنك اطلعت من سريرة غيرك ، على مثل الذى اطلعت  
 عليه من سريرتك ، فقد ادعيت عظيما ، إذ لم تكن مطلعاً من سريرة غيرك على مثل  
 الذى اطلعت عليه من سريرتك إلا بالازدراء على نفسك وعدم تزكيتها . وبعد فإنك  
 منهى عن تفضيل نفسك ، وتزكيتها محرم عليك ، وعساک فى القيامة تحت أقدام  
 الذين ازدريت عليهم فى الدنيا ، فتدبر ماسمعت ، واستعن بالله على نفي الكبير من  
 قلبك أعاذنا الله ، وإياكم من ذلك .

## الباب الثالث عشر تفقد سرائر الأنفس وخفيات الصدور

إخوانى : وتفقدوا سرائر الأنفس ، وخفيات الصدور ، وطهروها من الغل ،  
 والحسد ، والحقد ، والشماتة ، وسوء الظن ، والعداوة ، والبغضاء . فإنه بلغنا : « أن  
 الغل والحسد ياكلان الحسنات »<sup>(١٠٩)</sup> . وبلغنا : « إن من لم يحب ويكره للمسلمين  
 ما يحب ويكره لنفسه فليس منهم »<sup>(١١٠)</sup> . ألا تفقدوا السرائر فى كل حين ، عسى أن  
 يكون منكم مصر على بعض المعاصى ، وما يشعر ، وانظروا هل تجدون فى القلوب  
 حُب الدنيا ، والسرور بإقبالها ، والتقلب فى شهواتها ؟ وهل تجدون حلاوة المدحة  
 والتعظيم أحياناً ؟ وهل تأنفون من المذمة وتمتعون منها ؟ وهل تكرهون شيئاً يخالف  
 أهواءكم ، وترضون بما وافق الهوى ؟ وهل تلهون بالنظر إلى الخلق من غير اعتبار ؟  
 وهل تلهون بفضول الكلام ، وتصمتون أحياناً مفكرين فى غير ميعاد ؟ وهل تعملون  
 من الأعمال شيئاً الله راضٍ بها ، وأنتم تأنفون من عملها ؟ وهل تجدون خوف الفقر  
 أحياناً ؟ وهل تكرهون شيئاً قضاه الله فيكم ؟ فهذا ونحوه من ذنوب القلوب ، وأنتم  
 غافلون قد أحسب قراءكم مصرين عليها ، وما يشعرون . ألا فجاهدوا أنفسكم على

(١٠٩) أخرجه ابن ماجه فى سننه عن أنس بن مالك حديث رقم (٤٢١٠) ، وابن مردويه عن أبى هريرة ،

انظر الدر المنثور للسيوطى (٤١٩/٦) ، والديلمى فى الفردوس حديث رقم (٢٨١٢) .

(١١٠) لم أعر عليه .

الانتقال من الأخلاق المذمومة ، ولا تستصغروها . فإنه بلغنا أن من استصغر ذنباً فقد استصغر بوعيد الله جل وعز «<sup>(١١١)</sup>». إخواني : فراقوا من يعلم السر وأخفى وأن تصروا على شيء من مكاره الله - عز وجل - فليس مع الإصرار صغيرة<sup>(١١٢)</sup>. وقد بلغنا أن بعض الصحابة قال : «الإصرار على الذنوب ، كفر ، ومعصية ، وما أصر عليه العبد ، فهو من الكبائر»<sup>(١١٣)</sup>. وبعد : فإن صاحب الكبائر مع الإنابة ، أقرب إلى العفو من المصر على الصغائر . وقد بلغنا أن الله عز وجل يقول : « لا أقبل عثرة المصرين في الدنيا ، والآخرة ، لا شيء أعظم عندي من الإصرار »<sup>(١١٤)</sup>. ألا وإنما اشتد الغضب على المصرين لقلة اكرامهم بتراكم الأوزار عليهم ، واستهانتهم بسخط الجبار ، أعاذنا الله ، وإياكم من الإصرار ، فإنه أمر عظيم ، وسلك بنا ، وبكم سبيل المصطفين الأخيار .

## الباب الرابع عشر تحذير من اختلاف الأمة

إخواني : إن فنون العلم ، والعبادة ، وجميع ما يتقرب به إلى الله تعالى الحسن . غير أني أعهد إليكم في معرفة الفرائض المؤكدة على القلوب ، والجوارح ، ومعرفة الورع في المكاسب ، وفي الأحوال الظاهرة ، والباطنة ، والعمل بحسن النية ، والإخلاص لله بالأعمال ، فلا تقصروا في شيء من ذلك . فإنه بلغنا أن الله عز وجل يقول : « لا ينجو مني عبدي إلا بأداء ما افترضت عليه »<sup>(١١٥)</sup>. ألا فانكمشوا في الفرائض التي يسخط الله تعالى على من يضيعها ، ويفوز العباد بأدائها . وبعد : فأحذركم النظر ، والبحث في اختلاف الأمة ، وقد انتهى إليكم الذي حل بهم من أجل

(١١١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن بلال بن سعد يقول : « لانتظر إلى صفر الخطيئة ، ولكن انظر من عصيت ، حديث رقم (٢٨٢) .

(١١٢) أورد السخاوي في المقاصد الحسنة : « لا صغيرة مع الإصرار ، انظر المقاصد الحسنة حديث رقم (١٣٠٨) .

(١١٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في التوبة ، والبيهقي عن ابن عباس ، انظر الدر المنثور للسيوطي (٧٨/٢) .

(١١٤) أخرجه أحمد في المسند بنحوه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، انظر المسند (١٦٥/٢ ، ٢١٩) ، وعبد بن حميد ، وابن مردويه ، والبيهقي انظر الدر المنثور للسيوطي (٧٨/٢) .

(١١٥) أخرجه البخاري في صحيحه بنحوه عن أبي هريرة ، انظر فتح الباري ، كتاب الرقاق ، باب التواضع (٣٤٨/١١) .

الاختلاف ، والفرق ، وما ابتلوا به من الأهواء المضلة ، وارتكاب العظام من مذاهب القدرية<sup>(١١٦)</sup> ، والمرجئة<sup>(١١٧)</sup> ، والرافضة<sup>(١١٨)</sup> ، والجهمية<sup>(١١٩)</sup> ، والحرورية<sup>(١٢٠)</sup> ، فحاربوا ، وتعادوا ، وتباغضوا . وشهد بعضهم على بعض بالكفر والضلال واستحلوا دماء المخالفين لأهوائهم ، وقد كانوا من قبل ذلك إخواناً على أمر الله تعالى متفقين فلما بلوا بالبحث والتعمق صاروا أصنافاً ، واحتج كل قوم بمتشابه القرآن ، وبالآثار التي توافق أهواءهم فضلوا ، وأضلوا بذلك كثيراً . وقد بلغنا عن رسول الله ﷺ ، وضع يده على لحية عمر - رضى الله عنه - ثم قال : « يا عمر : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾<sup>(١٢١)</sup> ، فقال عمر : بأبي أنت ، وأمي يارسول الله ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ فبماذا ؟ قال : إن جبريل عليه السلام أتاني آنفا فقال يا محمد : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ إن أمتك مفتنونون بعدك بقليل غير كثير ، قلت : يا جبريل فتنة ضلال ، أم فتنة كفر ؟ قال : كل ذلك سيكون ، قلت : وكيف يضلون أو يكفرون ؟ وأنا مخلف بين أظهرهم كتاب الله عز وجل قال : بكتاب الله يضلون يتأوله كل قوم على ما يشتهون ، وبه يضلون<sup>(١٢٢)</sup> . ألا فراقبوا الله ، وذروا التعمق ، والبحث عما اختلفوا فيه ، فإنه بحر عميق قد غرق فيه ناس كثير ، يتفرع من الكلام فنون تدق حتى يحار فيها اللبيب العالم ، فما ظنكم بأمثالنا المنقوصين عقلا وعلمًا . ألا فتمسكوا بكل مُجمع عليه ، ولم تختلف فيه ، من الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وحدوده ، وفرائضه ، وشرائع دينه ، وجميع ما أجمع عليه السلف ففيه الرشد

(١١٦) القدرية : إحدى الفرق الكلامية ، من آرائهم ، أن الإنسان قادر خالق لأفعاله ، من أتباعها معبد الجهني وغيلان الدمشقي والحمد بن درهم ، وقد تبرأ منهم المتأخرين من الصحابة ، كعبد الله بن عمر وأبي هريرة وابن عباس وأنس بن مالك وأقرانهم .

(١١٧) المرجئة : من الفرق الكلامية ، وقد سميت كذلك نسبة إلى الإرجاء ، وللإرجاء معان متعددة ذكرها الشهرستاني في الملل والنحل ، والرأى الشائع عنهم ، أنهم سموا مرجئة ، لأنهم أرجأوا الحكم على صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة .

(١١٨) الرافضة : من غلاة الشيعة ، وقد ذهبوا إلى أن الإمام الحق بعد رسول الله ﷺ - علي بن أبي طالب ، ومن أشهر متكلمي هذه الفرقة هشام بن الحكم ، له مؤلفات عديدة ذكرها الزركلي في الأعلام (٨٥/٨) .

(١١٩) الجهمية : من الفرق الكلامية ، تنسب إلى جهم بن صفوان ، وهو من القائلين بأن الإنسان مجبر في أفعاله ، ولا قدرة له ولا إرادة ، كما يقول الشهرستاني في الملل والنحل ( ج ١ ) ( ص ٨٧ ) .

(١٢٠) الحرورية : من الخوارج ، تنسب إلى قرية حروراء بالكوفة ، من أشهر متكلمي هذه الفرقة عبد الله ابن ثور أبو فديك ومجدة بن عامر .

(١٢١) البقرة : ١٥٦ .

(١٢٢) أخرجه أحمد في المسند عن عقبة بن عامر الجهني ، انظر المسند (٤/١٥٥) .

والحق . فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « لا يجمع الله أمتي على ضلال » (١٢٣) . وهو قوله الحق ، وما اجتمعوا عليه فهو الصواب لاشك فيه ، وإنما دهاهم الشيطان بالاختلاف . ألا فاتقوا التعمق ، فيما اختلفوا فيه ، فإن لكم فيما اجتمعوا عليه من حدود الدين شغلا شاعلاً ، فيما لم تنالوا علمه أبداً . وقد بلغني أن وهب بن منبه قال : « كان في المسجد الحرام قوم يتكلمون بالجبر (١٢٤) ، والقدر (١٢٥) » فقلت : إني قرأت اثنين وسبعين كتابا ، أنزلت من السماء ، وشاركت الناس في علومهم ، وعلمت كثيرا مما لم يعلم الناس ، فوجدت أنطق الناس بهذا الأمر أجهلهم به ، ووجدت أسكتهم عنه أعلمهم به ، ووجدت الناظر فيه كالناظر في شعاع الشمس كلما ازداد فيه نظراً ازداد فيه تحيراً (١٢٦) . وبلغنا « أن على بن أبي طالب - رضى الله عنه - قال : إياكم ، والخصومات في الدين فإنها تشغل القلب ، وتزرع النفاق في القلب » . وبلغنا أن بعض أهل العلم عهد إلى إخوانه فقال : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد : فاعلموا أن هذه الأهواء قد كثرت في الناس ، والمخرج من ذلك أن تلزموا ما اجتمعوا عليه ، وأن تقفوا عندما اختلفوا فيه فإن البرّ والفاجر كلهم مجتمعون بأن الله حق ، والرسول - عليه السلام - حق ، والقرآن ، والرسول حق ، والكتاب ، والملائكة حق ، والبعث ، والجنة ، والنار حق ليس بينهم اختلاف ، وأن الصلاة الخمس بوضوئها ، والغسل من الجنابة ، وصوم شهر رمضان ، والزكاة ، والحج ، وبر الوالدين ، وأداء الأمانة ، وكف الأذى ، وإنصاف الناس من نفسك واجب على كل مسلم ، وأن ما قال الله حق : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ ﴾ (١٢٧) إلى آخر الآية . نكاحهن حرام ، والخمر حرام ، والسرقه ، والزنا ، والتطفييف ، والغش ، والحياطة ، والكذب ، وأشباهه حرام ، وليس بين البرّ والفاجر في هذا خلاف ، وأهل السنة ، وأهل البدع في هذا سواء ليس بينهم اختلاف ، فمن عمل بهذا ، وعمل بما فيه لم يضره ما جهل مما وراء ذلك إن شاء الله تعالى ، فالتزموا هذا ولا تجاوزوه ، وإن سئلتم عن شيء من

(١٢٣) أخرجه ابن ماجه في سننه عن أنس بن مالك ، كتاب الفتن ، باب السواد الأعظم حديث رقم (٣٩٥٠) ، وأبو داود في سننه كتاب الفتن ، حديث رقم (٤٢٥٣) ، وابن كثير في الفتن والملاحم ، وقال : حديث ضعيف لأن معاذ بن رفاعه السلامي ضعفه غير واحد من الأئمة ، انظر الفتن (٣٦/١) ، والعجلوني في كشف الخفاء حديث رقم (٢٩٩٩) .

(١٢٤) الجبر : أى أن الإنسان مجبر في أفعاله خيرا وشرها .

(١٢٥) القدر : أى أن الإنسان قادر وخالق لأفعاله وقد سبق تعريفه .

(١٢٦) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء عن أبي سنان ، انظر الحلية (٢٤/٤) .

(١٢٧) النساء : ٢٣ .

هذا فقولوا : آمنا بالقرآن ، وما فيه كُـلُّ من عند ربنا ، واصمتوا ، ولا تجيبوا ، ولا تخوضوا فيه فإن قلتُم : فإننا نحب أن نعرف الصواب من الخطأ فيما قد اختلفوا فيه ، ثم خضتم فيه ، وبجثتم عنه ، وتعمقتُم فيه ، لم تسلموا من الفتنة إلا ماشاء الله ، فاقبلوا النصيحة ، ولا تَجَاوِزوه ، ولا تخوضوا فيه ، ولكل فريضة من هذا شرائع ، وحدود ، وسنن فاستعملوها ، وتعلّموها لتتم لكم صلاتكم ، وتطيب لكم مكاسبكم ، ولا تقفوا في الرياء ، واشتغلوا في تعلم فرائض دينكم ، واشتغلوا في تعلم حدود الدين فهو خير لكم ، فإنكم إذا تحرّتم في العلم لم يخف عليكم إن شاء الله تعالى خطأ من خالف العلم الذي في أيديكم ، وأبصرتم الأمر ثم الأمر من غير الأدب ، وما أمرتم به ، فإذا تعدّتم النظر في الاختلاف دون التبحر في العلم ، ومجالسة العلماء ، ومذاكرتهم لم يؤمن عليكم أن تبتلوا بشيء يسبق إلى قلوبكم من الفتنة . ويقال : « ما من ضلالة إلا وعليها زينة » . ولعلكم تتركون الحق بعد ذلك ، وتأتى قلوبكم من قبول الحق من بعده ، وعلامة البصير بالسنة : تحذيره من الخوض في البدع لبصره بدقة الكلم ، وخَفِيّته ، وتبحره فيه فأزجر الناس عن المراء أعظمهم علما ، وأشدّهم عقلا ، وأكثرهم فقها ، وأجراً الناس على الدخول في المراء ، أقلهم علماً وأضعفهم رياء ، وأدناهم نظراً ، فالحذر ثم الحذر ، فقد حُذرتُم ، وقيل لكم : عليكم بدين العجائز ودين الأعرابي ، ودين الغلام في الكتاب<sup>(١٢٨)</sup> ، واقبلوا النصيحة ، ولا تكونوا ممن قيل لهم ﴿ وَلَكِنْ لَا تَجُوبُونَ النَّاصِحِينَ ﴾<sup>(١٢٩)</sup> . ألا فراقبوا الله . إخواني : واقبلوا نصح الشفيق عليكم ، فإن الشيطان لا يقصر في صدكم عن سبيل الحق ، ويجب عليكم النظر في اختلاف الأمة لمعرفة الحق بزعمه ، واختيار الصواب ، كهيئة الناصح لكم ، ولعمري إنه بالأهواء ، والفتن دهاكم ، وعن ذكر المعاد أهاكم ، فيالشغل القلوب في غير قرينة بل في التباعد عن ربكم ، ألا ولا تردوا المهالك باتباع الهوى ، عصمنا الله ، وإياكم من ذلك آمين .

## الباب الخامس عشر رعاية الجوارح والقلوب

إخواني : وخصلة أعهد إليكم بها ، فيها جُماع الخير كله أوصيكم برعاية للجوارح ، والقلوب ، والثبت بذلك في الأحوال كلها ، ولا تبدعوا بفعل ، ولا قول ،

ولا تضمرُوا شيئاً إلا بنظر ، وتدبير ، وإن كان محموداً عند الإله سبحانه وتعالى فبادروا فعله ، وما كان مذموماً فجانبوه ، وما خفى عليكم معرفته فكلّوه إلى العالم به ، وقفوا عنه حتى يأتي الله بعلمه وبيانه . فاته بغلنا أن رسول الله ﷺ قال : « أَحَبُّ البرية إلى الله - عز وجل - من لم يقدم قولاً ، ولا فعلاً ، ولا يداً ، ولا رجلاً ، ولا بطشاً ، ولا نية إلا بنظر ، وتدبير فإن كان لله فيه رضى أمضى ، وإن كان غير ذلك أمسك » (١٣٠) . ألا فتشبهوا بأولى الأبواب والنهى ، وأهل الورع والتقوى ، وتأدبوا بآدابهم تجدوا به عزاً يوم الحساب ، وفقنا الله ، وإياكم لكل خير برحمته .

## الباب السادس عشر المصيبة في تضييع حقوق الله

إخوانى : هذا - والله - الطريق إلى الله فتمسكوا بما وصفت لكم ، واغتنقوه في قلوبكم ، وابنوا عليه أعمالكم ، وجاهدوا في القيام به أنفسكم ، فإنى أرى النفس الأمارة مجمعة على تضييع أمر الله عز وجل ، فراقبوا الله ، ولا تهملوها فيمحق دينكم ، ويؤتى عليكم ، وما تشعرون . وبعد فليس برشيد من ضيع ما تسمعون ، وإن حقوق الله لأكثر من ذلك ، وأكبر فإن أظهرتم العجز عن القيام فلا أقل من الحزن الدائم العظيم ، لأن المصيبة في تضييع حقوق الله ، وقد أحسب حزنكم لمصائب الدنيا أكثر من حزنكم لمصائب الدين . فإننا لله وإنا إليه راجعون . المصائب تترى ويعلو بعضها على بعض ، ستبدو عواقبها عند الورود غداً ، وفقنا الله وإياكم لكل خير برحمته إنه سميع الدعاء ، ويده الخير ، وهو على كل شىء قدير ، والسلام عليكم ورحمة الله ، وبركاته ، وأزكى تحياته . فلما انقضى كلام عبد الله - رحمة الله عليه ورضوانه - أقبل عليه أهل الأنس به فقالوا له : أيها الأخ المحتاط لإخوانه إنك لم تأل في المنصح ، ولم تقصر في المنظر ، وإن الذى أنهيت إلينا هو الحق الذى لا محيص عنه فقد ثبتت به الحجة ، واتضح به منار الهدى ووجب علينا العمل به ، والله المعين على ذلك ، والموفق له ، فجزاك الله المنان بالنعم ، أفضل جزاء العاملين له ، ولقد سمعناك تصف قوماً بأحلام راجحة ، وعقول كاملة ، وأخلاق كريمة ، وأعمال صالحة ، ومعرفة بالنجم ، واجتهاد في الشكر ، ومبالغة في حرجات الصدق ، ورغبتنا